الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:

العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الدولة السعدية (1549-1659م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:

شعبة: التاريخ **تخصص: تاريخ الجزائر الحديث**

إعداد الطالب:
محمد عريعير

إشراف الأستاذ الدكتور:
عمر بوضربة

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	فتح الدين بن أزواو	أستاذ محاضر-أ-	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	رئيسا
02	عمر بوضربة	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	مشرفا ومقررا
03	عبد القادر خليفي	أستاذ محاضر-أ-	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/ 2018-2019م

شـــكـــــر وعـــــــرفـــان

أرى لزاما علي تسجيل الشكر و إعلامه و نسبة الفضل لأصحابه، استجابة لقول النبي صل الله عليه وسلم :«**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**».

علامة شكر المرء إعلان حمـده فمن كتم المعروف منهم فما شكر

فالشكر أولا لله عز و جل على أن هداني لسلوك طريق البحث و التشبه بأهل العلم و إن كان بيني و بينهم مفاوز.

كما أخص بالشكر أستاذي الكريم و معلمي الفاضل المشرف على هذا البحث الدكتور عمر بوضربة ، فقد كان حريصا على قراءة كل ما أكتب ثم يوجهني إلى ما يرى بأرق عبارة و ألطف إشادة، فله مني وافر الثناء و خالص الدعاء.

كما أشكر السادة الأساتذة و كل الزملاء و كل من قدم لي فائدة أو أعانني بمرجع، أسأل الله

إلى من علمني النجاح و الصبر... إلى من علمني العطاء بدون انتظار... أبي.

إلى من علمتني و عانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه... إلى من كان دعاؤها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي... أمي.

إلى جميع أفراد أسرتي العزيزة و الكبيرة كل باسمه...،وأخص بالذكر بركة البيت: سراج الدين و سندي في الحياة زوجتي الغالية حفظهما الله ورعاهما

إلى أصدقائي رفقاء دربي من داخل الجامعة و خارجها.

إلى الأستاذ المشرف الدكتور: عمر بوضربة، إلى أساتذتي الكرام الذين أناروا دروبنا بالعلم و المعرفة.

إلى طلاب العلم والمعرفة الحقة...

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع.

الطالب: محمد عريعير

مقدمـــــــــة

مقدمة

إن أهم ما يميز دول المغرب أن لها تاريخا مشتركا وصفات مشتركة، ما جعل شعوبها شعبا واحدا، على مرّ العصور.

فالعلاقات الجزائرية المغربية عميقة منذ القدم، ومما زادها رسوخا انتشار الاسلام في ربوعهما، فتعاقبت على البلدين عدة دول تركت آثارها في العلاقات السياسية وغيرها، ولعل أهمها كان في عهد خلفاء الموحدين، ممثلة في الدولة الزيانية والمرينية وما كان بينهما من تنافس وصراع.

ومع مطلع القرن السادس عشر ميلادي بدأت هذه الدول في الانهيار فنشأت في الجزائر إيالة عثمانية عاصمتها مدينة الجزائر سنة 1519م، أنهت الحكم الزياني فيما بعد أما في المغرب الأقصى فظهرت الدولة السعدية على أنقاض الدولة الوطاسية سنة 1549م ومن هنا بدأت حلقة جديدة في تاريخ العلاقات بين البلدين، تأرجحت بين السلم والحرب فشهدت تنافسا حادا سعى السعديون من خلاله التوسع في الجزائر، كما عمل العثمانيون بدورهم على التصدي لهذه الأطماع وحاولوا توحيد المغرب العربي تحت مظلة الخلافة العثمانية.

دوافع اختيار الموضوع:

نظرا لأهمية العلاقات الجزائرية المغربية، فقد ارتأينا التسليط الضوء على مرحلة مهمة من مراحلها، لإبراز طبيعة ومظاهر العلاقات سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، حيث تطرقنا إليها في مذكرة تحت عنوان: **العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الدولة السعدية (1549-1659م).**

كما أن هناك أسباب أخرى دفعتنا لاختيار الموضوع منها:

- البحث عن جذور هذه العلاقات لفهم أسباب الصراع بين البلدين وانعكاساته عليهما.
- لتكوين صورة واضحة عن مظاهر العلاقات الخارجية للجزائر العثمانية مع السعديين الذين وقفوا حاجزا أمام العثمانيين، لأجل توحيد البلدان المغاربية تحت سلطتهم.

- كما سعينا لإثراء الموضوع عن طريق رصد الحقائق التاريخية.

الاطار الزماني والمكاني للدراسة:

أما عن الإطار الزماني للبحث، فقد حددته بين معلمين تاريخيين (1549 م/1659م) فالأول يمثل بداية عهد الدولة السعدية في المغرب الأقصى رسميا بعد السيطرة على فاس ونهايتها فعليا على يد الأشراف العلويين، ويقابلها في الجزائر عهد البيلربايات أي منذ عهد حسن بن خير الدين (1545-1551م)، إلى عهد العلج علي (1585-1587م) ثم عهد الباشوات ابتداء من تعيين خضر باشا (1589-1591 م) إلى غاية إبراهيم باشا (1657-1659م)، والذي يمثل نهاية عهد الباشوات، وهي مرحلة حساسة في التحول السياسي في البلدين.

إشكالية الموضوع:

- لتناول الموضوع حاولنا معالجة الإشكالية التالية:

ما طبيعة العلاقات بين الجزائر العثمانية والسعديين؟ وما آثارها وانعكاساتها على البلدين؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية جاءت كالتالي:

كيف كانت أوضاع البلدين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي؟ وما طبيعة الظروف التي تحكمت في علاقات البلدين من الناحية السياسية؟ والطابع الغالب عليها، أهو السلم أم الحرب؟ وما مظاهر العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين البلدين؟ والى أي مدى ساهم التبادل الفكري في تنشيط الحياة الثقافية في كلا البلدين؟ وبناء على هذه الإشكالية وما توفر من مادة علمية قسمنا بحثنا الى ثلاثة فصول وهي:

الفصل الأول: الذي خصصناه للحديث عن أوضاع الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر، وقد تضمن هذا الفصل مبحثين تناولنا في المبحث الأول الأوضاع السياسية في الجزائر والمغرب، حيث شمل عدة عناصر تمثلت في التحرشات الإسبانية على السواحل

الجزائرية، ومســـاهمة الإخوة بربروس في تحرير البلاد وإلحاقها بالخلافة العثمانية، وكذلك الصراع الوطاسي السعدي، وتطرقنا في المبحث الثاني إلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في البلدين. من حيث المبادلات التجارية مع أوربا، وحالة المســـتوى المعيشـــي والصحة وفئات المجتمعين، ومؤسسات التعليم والعلوم المدروسة.

الفصل الثاني: الذي جاء تحت عنوان العلاقات السياسية مع الدولة السعدية، والذي اندرج تحته مبحثان، تناولنا في الأول علاقات بيلربايات الجزائر مع الأشراف السعديين، وتكلمنا في المبحث الثاني عن علاقة أحمد المنصور وخلفاؤه مع بيلربايات وباشوات الجزائر.

الفصل الثالث: وسميناه بعنوان العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع السعديين حيث اندرجت تحته ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان العلاقات الاقتصـــادية، الذي شـــمل التبادل التجاري بين البلدين وطرق المواصـــلات، والمبحث الثاني تكلمنا فيه عن مظاهر العلاقات الاجتماعية، من روابط عرقية ومصاهرات أما المبحث الثالث فتمحور حول مظاهر العلاقات الثقافية، من تقارب فكري بين العلماء وتنشيطهم للحياة الثقافية.

وضمنا الخاتمة بأبرز النتائج التي توصلنا إليها في البحث، وزودناها بملاحق خاصة تضمنت خرائط ورسائل ثم قائمة مفصلة شملت المصادر والمراجع.

ولدراسة هذا الموضوع فقد التزمنا بالمنهج التاريخي الوصفي والتحليلي لأجل وصف وتتبع الأحداث التاريخية، وتحليلها تحليلا تاريخيا قصد الوصول إلى أهداف البحث المسطرة.

الدراسات السابقة:

أما الدراســـات الســـابقة المتعلقة بموضـــوع البحث لاســـيما الأكاديمية، التي تناولت الموضـــوع في فترة القرن العاشـــر الهجري الســـادس عشـــر الميلادي، من قبل الباحثين الجزائريين، نذكر مثلا الدراسة الأولى التي قام بها الباحث (عمار بن خروف)، تحت عنوان " العلاقات بين الجزائر والمغرب 923-1069هـ/1517-1659م"، حيث قام الباحث فيها باســـتعراض للعلاقات بين البلدين من تجاذب وتنافر في مختلف الميادين وللأمانة العلمية أشير على أنه تمت مناقشة أطروحة دكتوراه في جامعة الجيلالي اليابس تتكلم عن الموضوع

بعنوان "العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال القرن الثاني عشـــر الهجري/الثامن عشـــر الميلادي-مقاربة ســياســية-"، مع عدم اســتفادتي منها لأن طبيعة العمل ركزت على القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي.

أما عن الجانب المغربي فنجد دراســة مهمة جدا، اختصــت بالقرن العاشــر الهجري السادس عشر الميلادي، من طرف الباحثة (زهراء النظام)، تحت عنوان " العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة ســياســية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، ومن خلال ملخص البحث نلاحظ أنها ركزت على التاريخ الســياســي المغربي في القرن الســادس عشــر والذي تجلى في عدم خضـوعه للدولة العثمانية لكن للأسـف لم يسـعفني الحظ في الاسـتفادة منها، لعدم حصـولي عليها ورقيا أو رقميا.

وهذه الدراســات العلمية الجادة والهادفة تعتبر قيمة علمية مضــافة بالنســبة للمهتمين بالتاريخ السياسي والدبلوماسي للجزائر والمغرب.

نقد المصادر والمراجع المعتمدة:

لقد اعتمدنا في دراســتنا هذه على عدة مصــادر عربية ومعربة وأخرى أجنبية، منها وصــف إفريقيا بجزأيه للحســن بن محمد الوزان المعروف عند الأوربيين (بليون الإفريقي) الذي يعتبر مصــدرا مهما في ذكر أحداث القرن العاشــر الهجري الســادس عشــر الميلادي كذلك كتاب إفريقيا للويس كربخال مارمول الذي عاش في وســط المجتمع المغربي ، وأورد معلومات عن الأوضـاع الاجتماعية والاقتصـادية، وقد اسـتفدت منه في الجانب الاقتصـادي والاجتماعي، كذلك مصـدر آخر معرب هو تاريخ الشـرفاء لدييغو دي طوريس الذي اسـتفدنا منه في الفصل الأول حول أخبار السعديين والوطاسيين.

أما المصادر العربية فاعتمدنا كتاب **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** لأبي فارس عبد العزيز الفشــتالي الذي عاصــر المنصــور ووضــع كتابه وفق تعليماته، فلم يتطرق الى السـلبيات، كذلك **تاريخ الدولة السـعدية التاكمدارتية** لمؤلف مجهول وهذا المصـدر مهم لدقة تفاصـيله عن السـعديين ونهاية حكم الوطاسـيين واتصـال العثمانيين في الجزائر بالسـعديين

كذلك **الرحلة العياشـــية** لأبي ســـالم العياشـــي لاســـيما حول طرق المواصـــلات التجارية والمصادر الأجنبية متمثلة في:

Fray Diego de haëdo. Histoire des rois d'Alger.

الذي تناول أهم الأحداث في عهد البيلربايات، **ودوحة الناشـــر** لمحمد بن عســـكر الشفشاوني، الذي لقي العلماء وأخذ عنهم فهو مصدر مهم في الجانب الثقافي.

أما فيما يخص المراجع العربية فنذكر **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** لعبد الله محمد بن أحمد الافراني الذي اشـتهر بتأريخه للدولة السـعدية في المغرب، كذلك **التاريخ الدبلوماســـي للمغرب** لعبد الهادي التازي في عشـــر مجلدات وقد اقتصـــرت على الثامن للسعديين، وكتاب **المغرب في عهد الدولة السعدية** للمؤلف عبد الكريم كريم، وكتاب **المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين الى نهاية الســـعديين** لإبراهيم حركات، اســـتفدت منه في جانب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الفصل الأول.

أما بالنسبة للمراجع الأجنبية:

Histoire d'Alger sous la domination turque (1515/1830), H.D.de Grammont.

كما اعتمدت على الرســـائل الجامعية مثل **العلاقات بين الجزائر والمغرب** لعمار بن خروف، وكذلك اعتمدت على بعض المقالات الأجنبية مثل:

Relations entre le Maroc et la Turquie dans la seconde moitié du 16e siècle et le début du 17e siècle (1554/1616).Chantal de la veronne.

وبالنسبة للمعاجم فنجد **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** لمؤلفه عادل نويهض الذي يتضمن التعريف بنخبة من علماء الجزائر.

أما الصعوبات التي اعترضتنا في هذه المذكرة فيتمثل أهمها في:

- ضـــيق الوقت بالنســـبة لموضـــوع كهذا يحتاج صـــاحبه الى فحص دقيق لكل كتب التاريخ.
- تعذر علينا الاستفادة من المؤلفات المكتوبة باللغة الاسبانية فاكتفينا ببعض المصادر والمراجع المترجمة إلى اللغة الفرنسية.

في الأخير أتقدم بالشـكر الجزيل الى كل من سـاعدني في إنجاز هذا العمل المتواضـع وأخص بالشـكر أسـتاذي المشـرف **الدكتور عمر بوضـربة** الذي لم يبخل علي بتوجيهاته وإرشاداته، كما أتقدم بالشكر لجميع أساتذتي الكرام.

وفي الأخير فإن أصـبت فمن الله سـبحانه الذي أعانني ووفقني وسـدّد خطاي فله الحمد والمنة ، إنه هو المولى ونعم النصير.

الفصل الأول

أوضاع الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 16م

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الجزائر والمغرب

المطلب الأول: ظهور التحرشات الإسبانية في الجزائر ونجدة العثمانيين

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى

المبحث الثاني: الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في البلدين

المطلب الأول: الوضع الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر والمغرب

المطلب الثاني: الوضع الثقافي في الجزائر والمغرب

منذ انهيار الدولة الموحدية تفكك المغرب إلى ثلاث دويلات مستقلة متناحرة فيما بينها، متمثلة في بني حفص بتونس وبني مرين في المغرب الأقصى وبني عبد الواد بالجزائر واستمر هذا الصراع لفترة من الزمن أدى إلى ضعف دول المغرب الإسلامي فمع مطلع القرن 16م بلغ الانحطاط والفوضى السياسية ذروتها، فمن أبرز مظاهرها الصراعات السياسية والتمزقات الداخلية في المغرب الأقصى والجزائر، الشيء الذي شجع الاستعمار الإسباني والبرتغالي من استغلال هذه الظروف للهجوم على مناطق المغرب الإسلامي والذي كان طابعه انتقامي من المسلمين لأن هذا الصراع احتدم بعد استقرار الأندلسيين المهجرين في سواحل المغرب والجزائر[1].

تم احتلال الحصون والمدن الساحلية من المحيط الأطلسي غربا وصولا إلى عنابة شرقا، فقوة الدولة الزيانية لم يكن باستطاعتها وقف هذه الاعتداءات لكونها كانت منشغلة بالصراع الداخلي.

أما في المغرب فكان الصراع الداخلي على أشده بين الوطاسيين والسعديين الذين نادوا بالجهاد، وانضمت إلى سلطتهم عدة إمارات، وبالتالي فإنه مع بداية القرن 16م بدأ الصراع بين الإسبان وسكان المغرب الإسلامي لاعتقاد الإسبان أنهم قادرون على احتلال كامل المغرب، لكن حروبهم مع فرنسا ومنافستهم للبرتغاليين في مجال الكشوفات الجغرافية وظهور الإخوة بربروس خيب آمالهم وأفسد عليهم خططهم.

كما أن هذا الوضع السياسي المتدهور لابد أن يكون له تأثير على الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

[1]– مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، دط، 1964، ج3، ص22.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الجزائر والمغرب:

لقد كانت الجزائر في القرن 16م تعيش أوضـــاعا ســـياســـية صـــعبة مليئة بالانقســـامات والصراعات أدت إلى الضعف والتقهقر

المطلب الأول: ظهور التحرشات الإسبانية في الجزائر ونجدة العثمانيين:

بعد ســـقوط غرناطة عام1492م لم يكتف النصـــارى بخرق المواثيق والعهود التي أعطيت للمسلمين، حيث بدأ الاضطهاد الديني ينصب عليهم مما جعلهم يفرون بعقيدتهم إلى بلاد المغرب، التي استقبلتهم وقام المغاربة بالتسلل إلى شواطئ الأندلس لإنقاذ المسلمين من الاضـــطهاد ومحاكم التفتيش، وبالتالي جاءت التحرشـــات الإســـبانية على بلاد الجزائر كرد انتقامي منهم[1].

أ-الغزو الإسباني للمدن الجزائرية والتفكك الداخلي:

عندما قرر الإســـبان مطاردتهم للمســـلمين الهاربين إلى البلدان المغربية اتفقوا مع البرتغاليين عام1504م على اقتسام النفوذ في شمال إفريقيا بإغراء من الكنيسة الرومانية فقام الإسبان بالسيطرة على الشواطئ الجزائرية أوائل القرن 16م[2].

هاجم الإســبان المرســى الكبير ســنة 1505م وتم الاســتيلاء عليه بعد حصــار دام خمســين يوما وعلى إثر هذا النصــر أقامت اســبانيا الأفراح لمدة ثمانية أيام[3]، بعدها اتخذ الإسبان المرسى الكبير كمركز لتموين الجنود، واخذوا يجولون في الضواحي حتى وصلوا إلى جبال العمور، ولقد حاول الســلطان الزياني مولاي عبد الله بن أبي زيان اســترجاع المرســى الكبير لكن جهوده باءت بالفشل.[4]

بعد ذلك بســنوات قرر الإســبان الســيطرة على وهران، فانطلقت الحملة من قرطاجة بالأندلس بقيادة الكاردينال خيمينيس يوم 16ماي 1509م، وكان قوامها ثلاثة وثلاثون ســفينة

---

[1]-مبارك بن محمد الميلي: الرجع السابق، ص ص21-22.

[2]-عزيز سامح ألتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989، ص .33

[3]-مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص.23

[4]-عزيز سامح ألتر: المرجع السابق، ص.25

تحمل على متنها أربعة وعشرون ألف رجل، ووصل أسطول الحملة إلى ميناء المرسى الكبير يوم الثامن عشر وتمت مهاجمة وهران يوم التاسع عشر، وحسب ديغرامون فان المعركة كانت خاطفة حيث لم تدم سوى أربع ساعات انتهت بانتصار الإسبان[1].

الذين لم يتورعوا عن ارتكاب المذابح والتي راح ضحيتها أربعة آلاف رجل وأسر أكثر من ثمانية آلاف رجل وقدرت الغنائم التي جمعها الإسبان بثمانية وأربعون مليون دينار قسمت على الجند، وحولت المساجد إلى كنائس، بينما احتفظ الكاردينال لنفسه بأعلام المسلمين والكتب النفيسة ومصباح المسجد الأعظم وهي محفوظة في مكتبة جامعة مدريد[2].

هذه الانتصارات الإسبانية خلقت صدى كبير لدى المدن الصغيرة الساحلية، حيث طلبوا الصلح وأعلنوا خضوعهم مثل الجزائر وشرشال ومستغانم ودلس وتعهدوا بدفع ضريبة سنوية وتسليم الأسرى المسيحيين وتسليم القلاع وتموين الحاميات[3]، كما قام بنو زيان بإعلان تبعيتهم، فتعهد أبو حمو الثالث بدفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر ألف دوقة كما أعلنت قبائل عامر وغيرهم من الأعراب الخضوع للإسبان[4]، وبعد أن استولى الإسبان على المرسى الكبير ووهران رأو أن يحتلوا بجاية التي كانت تمثل مركز إشعاع حضاري، من أجل قطع دابر القرصنة على حد زعمهم لكن نواياهم كانت تهدف إلى السيطرة على النقاط التجارية في البحر الأبيض المتوسط، فقاموا باحتلالها سنة 1510م بقيادة بيدرو نافارو[5].

عند نزولهم بجاية واجهوا مقاومة عنيفة من سكانها، لكنهم لم يستطيعوا صد الغزاة فانسحبوا وعلى رأسهم الملك عبد الرحمان، وكان من نتائجها أربعة ألاف ومائة شهيد وغنموا ما كان فيها.[6]

---

[1]–H ,D ,De Grammont :Histoire d'Alger sous la domination turque(1515–1830),Ernest leroux,éditeur,Paris,1887,p13.

[2]–أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492–1792) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، دت، ص13.

[3]–de Grammont :op,cit ,p15.

[4]–أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص.113

[5]–عزيز سامح ألتر : المرجع السابق، ص63.

[1]–أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص122.

وبعد أن وطدوا قواهم ببجاية توجهوا صوب الجزائر، وكان أهلها يشتغلون بالقرصنة، وكان شيخ المدينة سالم التومي من قبيلة الثعالبة فاحتلوها وبنو حصنا سموه (بنيون دي أرخيل)، أي صخرة الجزائر لمراقبة المدينة ومنعهم من الخروج إلى القرصنة وفرضوا ضرائب عليها[1].

وهكذا استطاع الإسبان بسط نفوذهم على طول الساحل الجزائري، لكن بروز الإخوة بربروس في ميدان الجهاد البحري أفسد عليهم خططهم، وسنرى كيف استطاع الإخوة بربروس تحرير المدن الجزائرية من سيطرة الإسبان.

-التفكك الداخلي:

لقد كانت تلمسان محورا رئيسيا للصراع بين الدولتين المجاورتين لها، وهذا الصراع أدى إلى ضعف السلطة المركزية، فظهرت إمارات رفضت الخضوع لها، من بينها إمارة بني جلاب في تقرت، حيث وصفها الحسن بن محمد الوزان في أوائل القرن السادس عشر بقوله "توجد حول تقرت عدة قصور وقرى وأماكن مأهولة على طول مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة وكلها خاضعة لأمير تقرت الذي أصبح يجبي منها مائة وثلاثين ألف مثقال، ولهذا الأمير حرس قوي من الفرسان ورماة القذائف والبنادق الأتراك"[2].

حيث أن بني جلاب استغلوا الفراغ السياسي السائد في المنطقة منذ القرن الرابع عشر لإقامة إمارتهم[3]، كما أن ورقلة كانت وضعيتها مشابهة لتقرت حسب ما ذكره الوزان حيث كان لها أمير وله جيش قوي كما أن سكانها أغنياء لاشتغالهم بالتجارة.[4]

كما كانت وضعية المدن الساحلية مشابهة لما يحدث في المناطق الصحراوية فبجاية التي انفصلت عن تونس مطلع القرن السادس عشر، كان ملكها عبد العزيز في صراع مع أخيه أبي بكر حاكم قسنطينة.[5]

---

[2]–عزيز سامح ألتر: المرجع السابق، ص66.

[3]–الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج2، ص136.

[1]–صالح عباد: الجزائر تحت الحكم التركي(1514–1830)، دار هومة، الجزائر، ط1، 2005، ص10.

[2]–الحسن الوزان: المصدر السابق، ص137.

[3]–صالح عباد: المرجع السابق، ص10.

أما مدينة الجزائر فكانت تتراوح تبعيتها تارة للزيانيين وتارة أخرى لحكام بجاية وجيجل كانت مستقلة قبل سيطرة الجنويين عليها، حيث حافظت على استقلالها بالرغم على ملوك بجاية وتونس[1].

وهكذا فان الحالة المزرية التي كانت تعيشها الجزائر من الداخل سهل بسط السيطرة الإسبانية على جل المدن الساحلية، لكن بروز الإخوة بربروس وانتشار شهرتهم في ميدان الجهاد أفسد على الإسبان خططهم، فكيف استطاع الإخوة بربروس تحرير المدن الجزائرية وإلحاقها بالخلافة العثمانية؟

ب – نجدة الإخوة بربروس وتحريرهم للبلاد:

نتيجة للظروف التي كانت تمر بها البلاد المغاربية من ضعف واحتلال للمدن من طرف الإسبان، استغاث الجزائريون بالإخوة بربروس الذين ذاعت شهرتهم، كي يصدوا عنهم العدوان الإسباني، فلقد شاع خبرهم في البحر الأبيض المتوسط ابتداء من سنة 1503م، واخترقت شهرتهم الآفاق بسبب تصديهم للنصارى وتغلبهم عليهم[2].

نشأ الإخوة بربروس في جزيرة ميدلي لأب تركي اسمه يعقوب بن يوسف[3] وكان حسب قول مارمول مسيحيا أصلا ثم اعتنق الإسلام[4] وأم أندلسية وكانوا أربعة إخوة هم (إسحاق وعروج، خسرف، ومحمد إلياس)، حيث اختاروا طريق الجهاد وكان في مقدمتهم عروج، الذي كان يتولى قيادة مركب خاص به حتى تم أسره ثم فراره ومواصلة عمل الجهاد ضد النصارى ثم انضم إليه جماعة من المجاهدين واندفعوا إلى غرب المتوسط.[5]

اختار عروج جزيرة جربة قاعدة لعملياته الحربية، ثم انضم إليه أخوه خسرف على رأس سفينة حربية، وعملا معا على انقاد مسلمي الأندلس ولقبهما النصارى (ببربروس)

---

[4]–الحسن الوزان: المصدر السابق، ص52.

[5]–عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو: دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر، دار الجيش الشعبي، الجزائر، دط، 1971، ص34.

[1]–بسام العسلي: خير الدين بربروس والجهاد في البحر(1470–1547م)، دار الفاس، ط1، 1980، ص27.

[2]–مارمول كربخال: افريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، دط، 1988–1989، ج2، ص304.

[3]–بسام العسلي: المرجع السابق، ص27.

وسمى الأندلسيون (خسرف) بخير الدين، ثم ما لبثوا أن استعان بهم السلطان الحفصي أبوعبدالله محمد عام 1510م، من أجل التصدي لهجمات النصارى، مقابل خمس الغنائم وأقطعهم ميناء حلق الوادي ليكون قاعدة لعملياتهم[1] حيث بلغ عددهم في هذه الفترة حوالي مائة جندي فشكلوا بذلك أسطولا بحريا من اثنا عشرة سفينة[2]

في هذا الوقت كانت بجاية تحت سيطرة الإسبان منذ سنة 1510م وعندما طلب سكان بجاية العون من عروج قدم إليها في سنة 1512م على رأس 12 قطعة بحرية وألف تركي وبعض الأهالي.[3]

فشن هجوما على المدينة لكنه فشل في ذلك بسبب تحصيناتها القوية، فاستشهد ستون شهيدا وأصيب عروج بقذيفة في ذراعه الأيسر التي قطعت فيما بعد، وتم قتل ثلاثمائة إسباني وأسر مائة وخمسين وبعدها تمت العودة إلى تونس.[4]

بعد فشل حملة عروج على بجاية سنة 1512م، قام باستخلاص جيجل من أيدي الجنويين، ثم سار إلى بجاية سنة 1514م على رأس عشرين ألف من كتامة ولكنه فشل للمرة الثانية، وحاصرها للمرة الثالثة سنة 1515م، وساعده أمير قلعة بني عباس وأحمد بن القاضي، ودام الحصار لمدة ثلاثة أشهر لكنه فشل بعد نفاذ ذخيرته وامتناع سلطان تونس عن إعانته[5]، وهكذا بقيت حتى سنة 1555م حيث استطاع صالح رايس استرجاعها[6].

أما مدينة الجزائر فإنها كانت تحت سيطرة الإسبان حيث وقع أميرها سالم التومي معاهدة معهم سنة 1510م لمدة عشر سنوات يدفع خلالها جزية سنوية فقام الإسبان على إثر ذلك ببناء حصن البنيون، وعند وفاة ملكهم سنة 1516م نقض أهل الجزائر المعاهدة لكنهم خافوا من انتقام الإسبان، عندها طلبوا النجدة والعون من عروج الذي كان مرابطا

---

[4]–بسام العسلي: المرجع نفسه، ص28.

[5]–عبد الحميد بن أشنهو: المرجع السابق، ص44.

[6]–Fray Diego de Haedo : Histoire des rois d'Alger ,tr,et notée,par :H,D ,de Grammont, adoulphe jourdon libraire éditeur, Alger,1881,p10.

[7]–خير الدين بربروس : مذكرات خير الدين بربروس، تر : محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010 ص52.

[1]–مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص37.

[2]–عبد الحميد بن أشنهو: المرجع السابق، ص66.

بجيجل، فلبى طلبهم وهاجم المدينة من طريقين، هو من طريق البر وأخوه خير الدين عن طريق البحر، فاستولى في طريقه على شرشال[1].

عند دخول عروج إلى مدينة الجزائر تم استقباله كفاتح، حيث أسكنه سالم التومي قصرا فاخرا بجواره، وأخذ يستعد لحرب الإسبان في قلعة الصخرة وجاءته النجدة من أخيه خير الدين ومن أحمد بن القاضي، لكن سالم التومي خشي ضياع حكمه فبدأ يتجسس على عروج وعندما اكتشف عروج خيانته قام بقتله في الحمام[2].

وبذلك أصبح منفردا بالحكم فتمت البيعة له، وبدأ في التوسع صوب شرشال ومليانة وتنس، بعد أن استطاع أن يرد حملة الكاردينال خيمينيس سنة 1516م، فالتحق به أخوه خير الدين من جيجل على رأس عشر مراكب[3].

استخلفه على مدينة الجزائر وخرج بجيش مكون من ألف وخمسمائة إنكشاري مع مهاجري الأندلس، وعدد من سكان القبائل فاستولى في البداية على المدية ثم مليانة وطارد أعداءه حتى تنس، بعدها جاءه وفد تلمسان طالبا العون منه كي يساعدهم على طرد أبو حمو الثالث والتخلص منه، لأنه متحالف مع الإسبان، فرحل عروج برا إلى تلمسان وفي طريقه استولى على قلعة بني راشد، حيث ترك أخاه إسحاق فيها على رأس حامية عسكرية قدرها ثلاثمائة جندي مسلحين بالبنادق، من أجل تأمين خط رجعته إلى الجزائر.[4]

وبالقرب من تلمسان واجه قوات أبي حمو الذي انهزم وهرب إلى الإسبان، فتم استقبال عروج من طرف أهل تلمسان ونصبوا أبا زيان أميرا عليهم، ولكن عروج ما لبث أن قام بقتله كما فرض على قبائل بني عامر وبني سناسن ضرائب لتموين جيشه، كما راسل سلطان فاس يعرض عليه التحالف ضد الإسبان وأبو حمو، فسار إليه هذا الأخير قاصدا نجدته لكن خبر مقتل عروج أوقفه عن ذلك.[5]

---

[3]–عبد الحميد بن أشنهوا: المرجع نفسه، ص68.

[4]–de Grammont :op,cit,p22.

[5]–مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص46.

[1]–de Grammont :op,cit,p24.

[2]–مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص ص46–47 .

-مقتل عروج:

بعد دخول عروج إلى تلمسان، رأى الإسبان أن تواجدهم بالجزائر يتهدده خطر كبير في مراكزهم لاسيما وهران والمرسى الكبير، فقرروا وضع حد لهذا التوغل التركي[1]، فتم إرسال قوات إلى حاكم وهران حيث انطلقت الحملة التي انضم إليها عدد من الأعراب وأنصار الأمير الهارب إليهم وساروا نحو تلمسان[2]، فتم حصارهم لمدة ستة أشهر دافع خلالها عروج ومن معه دفاع الأبطال لكن في الأخير انسحب معظم الأهالي الذين كانوا مع عروج ولم يبقى معه سوى خمسمائة مقاتل[3].

عندما دخل الإسبان المدينة تحصن عروج في القصر ودافع بشجاعة بعدها فر من باب سري فتبعه المسيحيون فكان ينثر وراءه الذهب والفضة ليؤخر العدو، ولكن هذه الحيلة لم تنفع حيث أدركه الإسبانيون[4]، فدارت معركة بين الطرفين انتهت بمقتل عروج والعودة برأسه على رمح إلى تلمسان[5]، وحملت جثته مع ألبسته البحرية المطرزة بالذهب والفضة وأرسلت إلى وهران، ثم إلى إسبانيا وقدمت كهدية إلى كنيسة (سانت جيروم) في قرطبة وكان ذلك عام 1518م[6].

ج-الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية:

عند وصول خبر مقتل عروج إلى أخيه خير الدين في الجزائر حزن عليه، وعندها أعلنت البلاد عدم تبعيتها له وأعلنت تمردها عليه، ولما رأى خير الدين ما آلت إليه الأوضاع من تمرد القبائل، واستعداد الإسبان لطرده من بلاد المغرب وعدم قدرته على مواجهة كل هذا بمفرده، قرر طلب العون من الخلافة العثمانية والاحتماء بها وإعلان التبعية، وما يدل على ذلك هو الرسالة المرسلة إلى السلطان العثماني من طرف سكان

---

[3]-أحمد سالم سالم علي: السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، دط، 2011، ص92.

[4]-مارمول كربخال: المصدر السابق، ص310.

[5]-أحمد سالم سالم علي: المرجع السابق، ص92 .

[1]-مارمول كربخال: المصدر السابق، ص310 .

[2]-Diego de Haedo :op,cit,p34 .

[3]-أحمد سالم سالم علي: المرجع السابق، ص92 .

الجزائر[1] وهي مؤرخة بعام 925هـ الموافق ل 1519م حيث شـــرح له فيها كيف أن ســـكان وزعماء المدينة توســـلوا إليه البقاء في الجزائر خوفا من الأعداء، وقام بهذه الســـفارة الفقيه أحمد بن القاضي[2]

يذكر هايدو أن كاهية خير الدين حسـين ذهب بالرسـالة إلى السـلطان العثماني الذي اســـتجاب للمطالب ومنح رتبة بيلرباي[3] لخير الدين، وأعلن تبعية الجزائر للخلافة العثمانية وأرسل له ألفين جندي إنكشاري وذلك في سنة 1519م كما أذن لمن أراد التطوع في صفوف المجاهدين ويمنح لهم نفس امتيازات الإنكشارية[4].

هكذا أصبح خير الدين سيد البحر المتوسط يشن هجومات على موانئ شرق إسبانيا ويساعد الأندلسيين في العبور.

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى

لقد كانت بلاد المغرب في القرن السادس عشر في وضع لا يحسد عليه فهو مشابه تماما لما في الجزائر، فكانت الأوضـــاع مزرية، تفكك في الجبهة الداخلية وغزو أجنبي للسواحل وصراع على السلطة.

أ-أوضاع المغرب السياسية العامة:

لم يكن الوطاسيون بحجم قوة المرينيين وبالتالي عجزوا عن توحيد المغرب وعن حماية شواطئه من الغزو الإسباني والبرتغالي[5]، ففي بداية القرن السادس عشر كانت الأوضاع غير مســـتقرة على الصـــعيدين الخارجي والداخلي، حيث كانت معظم أجزاء البلاد خارجة عن السلطة الوطاسية، فمن الداخل كان مجزأ إلى عدة إمارات.

---

[4]-ينظر الملحق رقم1، ص 76.

[5]-أحمد سالم سالم علي: المرجع السابق، ص94 .

[6]-بيلرباي: تعني أمير الأمراء، وهو أعلى المناصب في الدولة العثمانية، ينظر، سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، دط، 2000، ص64.

[1]-Diego de Haedo: op,cit,p36 .

[2]-عمار بن خروف: العلاقات بين الجزائر والمغرب(1517-1695م)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، دط، 1973، ص66.

ففي قلب النفوذ الوطاسي ظهرت ثلاث إمارات قائمة على فكرة الجهاد وهي: بنو راشد في شفشاون، وبنو عروس في القصر الكبير والأندلسيون في تطوان.[1]

وإلى الجنوب وجدت إمارة آل شنتوف في مراكش وإمارة مولاي إدريس الهنتاتي بالأطلس الكبير وبالتالي لم يكن للوطاسيين من الحكم إلا الإسم فقط هذا الاضطراب والتجزؤ السياسي جعل المغرب عرضة للأطماع البرتغالية والإسبانية فشرعوا منذ القرن الخامس عشر في غزو الشواطئ المغربية واحتلال مدنه الساحلية من أجل القضاء على مراكز الغزو للمغاربة وبناء قواعد لهم[2]، فاحتل البرتغاليون سنة 1502م ساحل البريجة بين أزمور وتيط واتخذوا حصنا بعد سبع سنوات من الاحتلال كما استولوا بعدها على سواحل السوس.[3]

كما احتلوا ساحل أكادير وأقاموا به حصنا أسموه سانتا كروز سنة 1505م واستولوا سنة 1508م على أسفي واحتل الإسبان سنة 1506م مدينة غصاصة[4]، كما استولى البرتغاليون كذلك سنة 1515م على ثغر المعمورة حيث حاصروها ودافع عنها المسلمون دفاعا مستميتا حتى انهزموا واستولى عليها العدو[5].

وفي ظل هذه الأوضاع المضطربة سيدخل المغرب في صراع مرير من أجل السلطة بين الوطاسيين والأشراف السعديين.

ب-الصراع الوطاسي السعدي في عهد أحمد الأعرج (1517-1539م)

لما تدهورت أوضاع بني وطاس وقصرت أيديهم عن الجهاد برز في أهل سوس الذين كانوا في جهاد ضد النصارى أبو عبد الله الملقب بالقائم بأمر الله السعدي وبايعوه بالإمارة سنة 915هـ/1509م[6] فأخذ يعد العدة للقضاء على الوطاسيين حتى أدركته الوفاة سنة

---

[3]-محمد نبيل ملين: السلطان الشريف-الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، مركز جاك برك، جامعة الرباط، 2013، ص6.

[1]-عمار بن خروف: المرجع السابق، ص68.

[2]-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح وتق، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، 1955، ج4، ص ص136-139.

[3]-عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ط3، 2006، ص12.

[4]-أبو العباس أحمد الناصري: المصدر السابق، ج4، ص 144.

[6]- ينظر الملحق رقم 04، ص 79.

923هـ/1517م[1]، فواصل ابناه الأمر من بعده وبدأ أمرهما ينمو شيئا فشيئا[2]، وأصبحت لهما شـــهرة وكان أمرهم في البداية في غاية الحذر لأن الأخوين عند قدومهما من الحج أقاما في فاس فكان أحمد الأعرج يتردد على القرويين بينما تقرب أخوه محمد الشـــيخ من الســـلطان الوطاسي حتى صار مؤدبا لولي عهده.[3]

ثم بدءا التخطيط لمشروعهما حيث تولى أبو العباس الأعرج ولاية العهد من أبيه سنة 1512م، ولما انتصـــر على نصـــارى الســـوس وذاع صـــيته هرع إليه الناس من كل حدب وصـــوب ودخلت بلاد الســـوس في طاعته وكاتبه أمراء هنتاتة ملوك مراكش بالدخول في طاعته فأجابهم إلى ذلك ودخل مراكش سنة 1524م.

تلقب هذا الأخير بالأمير واستخلف أخاه محمد الشيخ مما أزعج السلطان الوطاسي أبو عبد الله الملقب بالبرتغالي، فبعث إليه أحمد الأعرج يطمئنه بأنه واحد من عماله وعندما توفي السلطان الوطاسي خلفه ابنه أبو العباس أحمد[4] ولما استفحل أمر الأشراف السعديين قرر أبو العباس الوطاسي شن الحرب عليهما فجهز جيشا من الفرسان والمشاة وحاصر به مراكش، لكنه عاد لفاس بعد أن وصلته أنباء عن استيلاء أخيه على الحكم بمساعدة بعض الناس، فأخمد الثورة وقبض على أخيه[5].

ثم عاد لحرب الشـــريفين بجيش أعظم من الأول لأنه كان مصـــمما القضـــاء عليهما فكان معه عشرون ألف فارس وألفان من رماة البنادق واثنا عشر مدفعا بينما جيش الشريفين كان مؤلفا من اثنا عشـــر فارســـا ومائتين من رماة البنادق[6]، فدرات بين الطرفين معركة في

---

[1]– شوقي عطا الله الجمل: المغرب الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ط1، 1977، ص 168.

[7]–أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح وتع، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط3، 1997، ج5، ص9.

[1]–محمود علي عامر، محمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى، ليبية)، دمشق، دط، دت، ص35.

[2]–أبو العباس أحمد الناصري: المصدر السابق، ج5، ص ص11–15.

[3]–دييغو دي طوريس: تاريخ الشرفا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، دط، دت، ص66.

[4]–دييغو دي طوريس: المصدر نفسه، ص 70.

المكان المسمى أبي عقبةً بتادلا عام 1537م[1] شارك فيها ملك غرناطة المخلوع أبو عبد الله ابن الأحمر الذي قتل في المعركة وانتصر الأشراف السعديون[2].

تم عقد اتفاق بين الطرفين حضره العلماء والصالحون منهم قاضي الجماعة بفاس أبو الحسن علي بن هارون المطغري، والإمام الشهير أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي وغيرهما ونص اتفاق الصلح على أن للأشراف من تادلا إلى سوس وللوطاسيين من تادلا للمغرب الأوسط[3].

-الخلاف بين الشريفين السعديين:

كان أبو العباس الأعرج خلال حكمه يستشير أخاه الأصغر منه محمد الشيخ ويأخذ برأيه لأنه كان ذكيا حازما في أموره إلى أن حدثت جفوة بينهما[4]، كما أن طوريس يذكر بأن الانتصار الذي أحرزه محمد الشيخ عند احتلال رأس أكير هو الذي أفسد الود بين الأخوين، لأنه حسده على ما أدركه من شرف، إضافة لبعض الوشاة الذين أوغروا صدر أبي العباس ضد أخيه، وتطور الخلاف إلى قتال[5].

في سنة 946هـ/1539م تمكن محمد الشيخ من التغلب على أخيه أبي العباس ووضعه في السجن إلى غاية مقتل أخيه الشيخ بعد ثمان عشر سنة حيث قتل هو كذلك[6].

ج-الصراع الوطاسي السعدي في عهد محمد الشيخ (1539-1554م):

لما انتصر محمد الشيخ على أخيه وحبسه استولى على ما كان بحوزته واجتمعت كلمة أهل السوس عليه أصبح بذلك ملكا مستقلا، عندها أقام ببلاد السوس مجاهدا للعدو فتمكن من الاستيلاء على حصن فونتي سنة 947هـ/1540م وفتح آسفي سنة 948هـ الموافق لـ

---

[5]-محمود علي عامر: المرجع السابق، ص 36.

[6]-أبو العباس أحمد الناصري: المصدر السابق، ج5، ص12.

[1]-محمد الصغير الإفراني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تق وتح، عبد اللطيف الشاذلي، د د ن، ط1، 1998، ص57.

[2]-محمد الصغير الإفراني: المصدر نفسه، ص59.

[3]-دييغو جي طوريس: المصدر السابق، ص77.

[4]-أبو العباس أحمد الناصري: المصدر السابق، ج5، ص18.

1541م ثم أعاد فتح مراكش بعد انقطاع البيعة له سنة 951هـ الموافق لـــ 1544م وخلص له جميع ما كان لأخيه المخلوع من تادلا إلى وادي نول[1].

في سنة 1545م استولى السعديون على فشتالة وجرت معركة مع الوطاسيين عند وادي درنة، حيث انتصر فيها محمد الشيخ وتمكن من أسر السلطان أحمد الوطاسي وفي هذه المعركة برزت شخصية أبو حسون عم السلطان أحمد الذي كان أميرا على بادس حيث تمكن من جمع شتات الجيش وصد الهجوم السعدي على مكناسة، وفي سنة 1547م تم إطلاق سراح السلطان الوطاسي بعد تقديمه تنازلات لمناطق الهبط والغرب ومكناسة، واعترف له بحمل لقب سلطان، وكان هدف السلطان الوطاسي جمع أنفاسه وترتيب جيشه[2].

لكن محمد الشيخ لم يتح الفرصة له فزحف إلى فاس عازما القضاء على الوطاسيين وكان يفتح في طريقه ما صادفه من مدن، فبدأ بحصار مكناسة الزيتون حتى استولى عليها سنة 955هـ الموافق لـ 1548م.[3]

-الاستيلاء على فاس ونهاية الصراع الوطاسي السعدي:

بعد استيلاء محمد الشيخ على مكناسة تقدم إلى فاس عام 1549م، حيث حاصرها حصارا طويلا ولما استعصى عليه الأمر لجأ إلى المراوغة وأراد أن يستميل عالم فاس أبا محمد عبد الواحد بن أحمد الونشريسي إلى صفه ولما رفض عرضه عمد إلى اغتياله بواسطة أعوانه من الداخل[4].

كما بذل مالا لكسب مؤيدين له داخل المدينة لعبوا دورا في تسهيل دخوله إلى فاس وكان هناك دفاع قوي، ثم بعدها اضطر السلطان الوطاسي إلى عقد اتفاق يضمن حياة سكان فاس وممتلكاتهم، وضمن له محمد الشيخ هو حياته مع معاملة حسنة ورحله إلى مراكش حيث دس له السم هو وحاشيته بعد فترة وجيزة.[5]

---

[5]–أبو العباس الناصري: المصدر نفسه، ج5، ص21.

[1]–محمود علي عامر: المرجع السابق، ص 39.

[2]–أبو العباس الناصري: المصدر السابق، ج5، ص21.

[3]–أبو العباس الناصري: المصدر نفسه، ج5، ص23.

[4]–محمود علي عامر: المرجع السابق، ص 39.

أما أبو حسون فقد غادر إلى بادس في الشمال ثم لجأ إلى أتراك الجزائر[1] أين طلب مساعدتهم لاسترداد عرشه وبالفعل قام صالح رايس بقيادة ستة آلاف جندي وألف من الصبايحية سنة 1553م، ومعه أبو حسون حيث تمكنوا من دخول فاس[2] بتاريخ 1554م واصبح يدعو للعثمانيين على المنابر طيلة بضعة أشهر حتى استردها السعديون نهائيا سنة 1554م[3] وقتل أبو حسون وعند دخول محمد الشيخ فاس للمرة الثانية أمر بقتل خطيب مكناسة الزيتون الشيخ الفقيه أبي على حرزوز المكناسي[4]، وهكذا بموت أبي حسون انتهت الدولة الوطاسية نهائيا وخلت البلاد لمحمد الشيخ السعدي.

[1]–مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 23.

[2]–Ernest Mercier: Histoire de l'Afrique septentrional(Berbérie) ,Paris,1868,T3,p75.

[3]–عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، أكاديمية المملكة المغربية، دط، 1988، ج8، ص8.

[4]–محمد الصغير الإفراني: المصدر السابق، ص ص75–76.

المبحث الثاني: الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في البلدين

لقد كانت أوضاع الجزائر والمغرب خلال القرن السادس عشر هي امتداد لأوضاع القرن الرابع عشر من ضعف واضطراب.

المطلب الأول: الوضع الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر والمغرب

أ-التبادل التجاري مع أوروبا:

لقد كانت العلاقات التجارية بين الدول الأوروبية والإسلامية في القرن السادس عشر مضبوطة بقوانين جمركية صارمة، فحتى أثناء الحرب لا يمكن خرقها، حيث كانت السفن الأوروبية تدخل لموانئ الدول المغربية لشراء المؤونة والتزود بما يلزم[1]، فكانت ترسو في المرسى الكبير مئات السفن القادمة من البندقية المحملة بالبضائع كما تقصد ساحل وهران أيضا[2].

أما في المغرب الأقصى فقد كان مرسى سلا خلال عهد الوطاسيين أهم مركز تجاري ساحلي بالنسبة لتجار البلدان الأوروبية على غرار إنجلترا وفلامانيا[3] حيث أنه في سنة 1552م دخلت ثلاث بواخر تجارية موانئ المغرب فرست بآسفي وهي محملة بالبضائع التجارية لمبادلتها مع المغاربة[4].

هذا ما يبين بأن التجارة كانت نشيطة بين الدول المغربية وأوروبا منظمة فكانت الموانئ المغاربية تتوفر على مكاتب لرجال الجمارك الذين يسهرون على التبادل وحماية البضائع والتجار الأوروبيين ونظرا لعمل مصلحة الجمارك المنظم فقد اكتسبت أهمية وصارت لها صلاحية التفاوض في الاتفاقيات التجارية.[5]

---

[1]-وليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، دطن2006، ص23.

[2]-الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 31.

[3]-كينيث براون: موجز تاريخ سلا(1000-1800م)، تر: محمد جيدة وأناس لعلو، منشورات أمل، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص54.

[4]-ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1 1978، ج2، ص212.

[1]-وليم سبنسر: المرجع السابق، ص25.

ومن أهم المنتوجات التي يتم تبادلها كان الخشب والنحاس والمعادن الثمينة المستوردة، كما تستورد الثياب الصوفية والقطنية، كما يتم جلب البضائع النفيسة المتمثلة في المجوهرات والأحجار النفيسة والماس، وكانت مدينة الجزائر تصدر إلى أوروبا العبيد السود[1].

أما المغرب فكان يصدر التوابل والقطن والأقمشة والعاج والشمع والعسل والجلود والزرابي المحلية ويقوم باستيراد المنتجات المصنعة في جينوة والبندقية والسكر من إسبانيا[2].

لكن عند احتلال الإسبان والبرتغال للسواحل المغاربية فان هذه الموانئ فقدت بريقها التجاري حيث أصبح الإسبان يتدخلون في التجارة كما إن البرتغاليون قد سيطروا وشلوا التجارة الخارجية للمغرب، حيث عملوا على تحويل طرق التجارة الإفريقية نحو الساحل وبالتالي تغلبت الأساطيل على تجارة القوافل.[3]

ومما زاد في الإضرار بالنشاط التجاري هو أسلوب الامتيازات التجارية الأوروبية وتجارهم، الأمر الذي كان يخلف صراعات وتوترا بسبب الرؤى حيث كان الأوروبيون ينظرون إليها على أساس أنها حقوق مكتسبة بينما حكام الجزائر كانوا يرونها تسهيلات تجارية فقط هذا ما كان يؤدي بالضرورة إلى نقض الاتفاقيات.[4]

---

[2]–وليم سبنسر: المرجع نفسه، ص ص26–30.

[3]–كينيث براون: المرجع السابق، ص 54.

[4]–محمود علي عامر: المرجع السابق، ص 31.

[5]–ناصر الدين سعيدوني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب)، من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، مجلي النشر العلمي، الكويت، دط، 2010، ص42.

ب-النشاط الفلاحي والحرفي:

لقد عرف الإنتاج الزراعي في الجزائر خلال القرن السادس عشر تطورا ملحوظا لاسيما في أقاليم الجزائر والبليدة وقسنطينة وتلمسان ومنحدرات جرجرة والأوراس، حيث زرعت الأشجار المثمرة والخضر والحبوب، وشهدت المدن الساحلية تطورا زراعيا بفضل الأندلسيين الذين عملوا على استصلاح الأراضي الزراعية ومد قنوات الري وقاموا بحفر الآبار والسواقي، كما أدخلوا معهم مزروعات جديدة لم تكن معروفة من قبل[1]، كما كانت الأراضي المحيطة بتلمسان ومستغانم خصبة جيدة للفلاحة أهم منتوجاتها التين والكتان والشعير.[2]

أما في المغرب فقد عرفت السهول المحيطة بأزمور خلال سنة 1516م و1517م نقصا في الحبوب مما جعل السكان يتزودون من إسبانيا، كما أنه في سنة 1529م أصاب المغرب جفاف خطير نتيجة قلة الأمطار وهذا ما عاد سلبا على الفلاحة بالمغرب الشيء الذي جعل الأسعار تعرف ارتفاعا[3].

أما إقليم السوس فكان غني بزراعة القمح وسكانه يعتنون بتربية الماشية كما يتوفر على حدائق وبساتين النخيل[4]. كما ينتج قصب السكر واللوز والحامض والتمر أما مكناسة فكانت توجد بها أنواع مختلفة من الفواكه وكذلك الزيتون وأشجار البرقوق والتفاح وغيرها[5].

وهكذا فكما فقدت الزراعة بريقها وازدهارها بسبب الفوضى وانعدام الأمن كذلك كان حال الحرف والصنائع.

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص ص28-29.

[2]-الحسن الوزان: المصدر السابق، ص ص32-33.

[3]-محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، إفريقيا الشرق، المغرب، ط3، 1998، ص147.

[5]-مارمول كربخال: المصدر السابق، ص27.

[6]-ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص244.

ففي الجزائر تركز النشاط الحرفي في المدن الرئيسية لاسيما مدن الجزائر وقسنطينة وتلمسان ومما ساهم في ازدهار الحرف هو هجرة الأندلسيين واليهود الذين كانوا مشهورين بجودة مصنوعاتهم فكان من أهم الصناعات الشاشية والأقمشة والأغطية والزرابي[1].

أما سكان شرشال فكانوا يشتغلون بصناعة الحرير وصناعة البنادق، أما مدينة مليانة فسكانها متنوعو الحرف ما بين الصناعة والنسيج والخراطة، كما يشتغلون بالفلاحة[2]، أما سكان بوسعادة وجرجرة فإنهم اشتهروا باستحضار البارود وصنع البنادق كما أن صناعة الخزف والفخار واشتهرت به ندرومة وشرشال والجزائر وميلة[3]، كما أن الصنائع بتلمسان كانت موزعة على مختلف الساحات والأزقة فمدينة مستغانم كانت بها صناعة الأقمشة[4].

أما بالنسبة للنشاط الحرفي بالمغرب فكانت الصنائع كذلك موزعة ولها مكان معلوم فهذه مدينة فاس وحدها كان بها خمسة عشر زقاقا للدكاكين تضم الصناع والحرفيين فنجد زقاق الإسكافيين المشتغلين بصناعة الأحذية المطرزة بالذهب والحرير، كما يوجد بها زقاق للدلالين الذين يبيعون السلع من دكان لآخر وزقاق لبيع القماش والزرابي وغيرها وكان كل زقاق يحوي أكثر من مائة دكان.[5]

كانت بمنطقة السوس معامل إنتاج السكر وأعظم مركز صناعي كان بفاس حيث يوجد أكثر من أربعمائة مطحنة ومصانع للأسلحة ومعامل للنسيج ومعاصر الزيتون، كما كانت توجد التي تشتغل في مجال الأدوية.[6]

---

[1]–ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص33.

[2]–الحسن الوزان: المصدر السابق، ص35.

[3]–ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص39.

[4]–الحسن الوزان: المصدر السابق، ص19.

[5]–مارمول كربخال: المصدر السابق، ص156.

[6]–ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص245.

ج-المستوى المعيشي والوضع الصحي:

لقد كان سكان البلاد المغربية يعيشون عيشة تختلف باختلاف مواطنهم فالذين يسكنون على ساحل البحر هم أكثر غنى من غيرهم فهم يملكون خيولا أحسن من خيول الصحراء كما يقومون بحرث أرضهم فيحصلون على كميات وافرة من الحبوب كما يملكون عددا كبيرا من الغنم والبقر، أما المقيمين بالصحاري فهم يعيشون مثل سادتهم حيث يتحصلون على إعانات مالية ويعيشون على الترحال[1].

بينما يذكر الوزان أن سكان المدية كانوا أثرياء ويرتدون لباسا جميلا ومنازلهم كذلك أنيقة، وكذلك سكان بجاية كانوا على قدر من الغنى وذكر سكان مسيلة بأن سكانها كانوا يمتهنون الفلاحة أو انهم حرفيون ووضعهم بائس وفقراء بسبب اعتداءات جيرانهم الأعراب وكثرة الضرائب من ملك بجاية ويصور لنا حالة الفقر كما رآها فيقول "وقد اندهشت للفقر السائد بمسيلة عند مروري بها فلم أجد الشعير لفرسي ولليلة واحدة إلا بمشقة"[2].

كذلك الأوضاع كانت متشابهة في المغرب فمستوى المعيشة كان في مراكش لا بأس به حيث أن المواطن بإمكانه تناول مأكولات متنوعة ومشتملة على العسل واللبن والحليب والدقيق واللحم[3].

كذلك الحال بالنسبة لسكان السوس فهم يعيشون عيشة جيدة فهم أغنى من غيرهم لأن إقليمهم يكثر فيه القمح والمواشي، بينما سكان الجبال كانوا فقراء حيث يذكر مارمول عن سكان جبال هنكيسة ما يلي: "أنهم فقراء مملقون ليس لهم قمح وإنما لهم شيء يسير من الشعير".[4]

وبالنسبة للوضع الصحي فلقد انتشرت الأمراض وحدثت المجاعات فكانت لها آثار سلبية في الناحية الديموغرافية حيث حدثت مجاعة في المغرب سنة 1521م و1523م أثرت حتى على تعداد الجند في الجيش الوطاسي بنسبة 90% كما ضرب الطاعون سنة 1557م

---

[1]-الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص ص62-63.

[2]-الحسن الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص ص41-50.

[3]-المصدر نفسه، ج1، ص 96.

[4]-مارمول كربخال: المصدر السابق، ص ص27-39.

و1558م حيث انتشـر الوباء في الجزائر منذ سـنة 1553م الذي انتقل من تركيا وخرب كل الساحل من سنة 1555م إلى 1557م حيث أن صالح رايس كان ضحية لهذا الوباء، حتى أنه في فاس سنة 1558م كان يموت في اليوم الواحد من ألف إلى ألف وخمسمائة شخص وبلغ عدد ضحايا هذا الوباء عند توقفه حوالي ثلاثمائة الف.[1]

د-الفئات الاجتماعية:

لقد كان المجتمع المغاربي عموما يتشكل من العنصر الأمازيغي والمغربي بالإضافة إلى بعض العناصر الدخيلة عنهما فالبربر كانوا يستوطنون الجبال مثل تلمسان والجزائر ومملكة كوكو وغيرها.

بالإضافة إلى فئة الأندلسيين الذين هاجروا من الأندلس واستقروا بالجزائر مثل شرشال والقل وغيرها[2]. كما استقروا بفاس وتطوان وسلا والرباط فضلا عن المسيحيين الذين استوطنوا المغرب كتجار أو مستعمرين[3].

بينما المسيحيون في الجزائر كان منهم الأحرار ممثلين في التجار والقناصل والعبيد كما أن اليهود كانوا منتشرين في معظم المدن الجزائرية ويشتغلون بصناعة المجوهرات ويتاجرون بالقماش[4]، كذلك انتشروا بالمغرب حيث كان لهم حي قديم بمراكش يضم ثلاثة آلاف منزل ويتواجدون كذلك بتلمسان ولهم حي معروف بهم[5].

كذلك هناك طائفة الأتراك القادمون من الإمبراطورية العثمانية إلى الجزائر حوالي 1600بيت لا ينتمون إلى الإنكشارية وطائفة الكراغلة الذين هم أبناء الأتراك من أمهات جزائريات كانوا يتواجدون في عدد من المدن الجزائرية مثل قسنطينة وجيجل، وبسكرة ومسيلة، والمدية، ومليانة[6].

---

[1]-Bernard Rosenberg :population et crise au Maroc aux 16-17 siècles et famines cahier de la mediterranée,N2,1977,pp139-140.

[2]-مارمول كربخال: المصدر السابق، ص ص351-362.

[3]-ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص233.

[4]-صالح عباد: المرجع السابق، ص ص259-262.

[5]-مارمول كربخال: المصدر السابق، ص ص55، 299.

[1]-صالح عباد: المرجع السابق، ص ص356-358.

المطلب الثاني: الوضع الثقافي في الجزائر والمغرب

لقد كانت الأوضـــاع الثقافية في الجزائر والمغرب متشـــابهة حيث أن القرن الســـادس عشـــر في الجزائر عرف نقصـــا في العلماء المنتجين والمؤلفات، حيث ســـاهمت الأوضـــاع السياسية المتردية والأوضاع الاقتصادية السيئة في تدهور الأوضاع الثقافية فشهدت الساحة العلمية هجرة لبعض العلماء ســـواء إلى المشـــرق أو المغرب والبعض منهم انعزل عن الناس وفضل حياة الزهد[1].

أ-التعليم ومؤسساته:

لقد شهدت بعض المدن نموا وإشعاعا ثقافيا بفضل مدارسها ومساجدها مثل قسنطينة وبجاية وتلمسان ومازونة ووهران والجزائر وعنابة وبسكرة، فمدارس تلمسان بلغت أواخر القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر خمس مدارس وستون مسجدا.[2]

وهذه المؤســـســـات التعليمية كان بها كبار العلماء حيث يعهد لهم التعليم العالي والذي كان يعتمد على النقل والرواية وليس الاجتهاد، كما أن الأندلسـيين سـاهموا في التعليم وكانت بصمتهم واضحة خصوصا في ميادين النحو والأدب والعلم والفلسفة والموسيقى[3].

أما الحركة الفكرية في المغرب فلقد شـــهدت خلال العهد الوطاســـي ركودا وتراجعا فلم ينجب المغرب علماء كبارا كما كانوا في العهد الموحدي والمريني، فظل التعليم في الكتاتيب والمدارس يتبع نفس المنهج في العهود السابقة[4].

كان يوجد في مدينة فاس خمســـون جامعا كبيرا أهمها جامع القرويين، كما توجد مدارس أخرى يدرس فيها النحو والبلاغة والعقائد والفلســـفة والحســـاب، وكان عدد المدارس أكثر من مائتي مدرســـة لتعليم القراءة[5]، والكتابة والوســـيلة المســـتعملة في التدريس هي ألواح

---

[2]-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998،ج2، ص44.

[3]-أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص45.

[4]-أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص47.

[6]-ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص253.

[1]-مارمول كربخال: المصدر السابق، ص ص146-147.

كبيرة، وكان أجر المعلمين زهيدا ماعدا بعض الهدايا التي يتلقاها المعلم من طرف أولياء التلاميذ وكان للأطفال عطلة يومين في الأسبوع لا يدرسون فيهما.[1]

أما فيما يخص الحلقات العلمية فلقد كانت مفتوحة أمام الجميع وكان العلماء يحضون باحترام كبير لدى الطلبة، وكان يتم تشـــجيع طلبة العلم على التعليم بتقديم المســـاعدات كمضاعفة الجرايات لهم[2].

ب-العلوم النقلية والعقلية:

لقد تميز العهد العثماني بدراســة العلوم الشــرعية المتمثلة في دراســة القران وتفســيره ودراســـة الحديث حيث كثر الإنتاج في هذا الميدان مع التقليد والتكرار دون الاجتهاد، حيث اقتصر الإنتاج العلمي على تفسير بعض الأمور البسيطة[3]

-التفسير:

لقد كان تفســير القرآن الكريم من بين اهم العلوم المدروســة حيث عكف العلماء على تكرار الأقوال الســابقة في دروســهم دون تجديد وكان من أبرز العلماء محمد بن على البهلول وابن للو التلمســـاني وغيرهم وكـانوا يعتمدون على المعـاني الظـاهريـة كمنهج بينمـا تـأليف التفســير فينعدم في القرن الســادس عشــر[4] كذلك كان علماء المغرب يعنون بتفســير القران فتعدد المفســرون فكان من بينهم الحاج محمد الشــطيبي المتوفى ســنة 963هـ وعبد الرحمان العارف وله تفسير الجلالين وعبد الواحد الأنصاري السجلماسي[5].

-الحديث:

لقد اعتنى الجزائريون بعلم الحديث تدريسا وتأليفا وذلك كونه يعتمد على الحفظ بشكل كبير، والمغاربة مشـــهورون بالحفظ منذ القدم كما اعتنوا بصـــحيح البخاري، وكان الحديث

---

[2]-الحسن الوزان: المصدر السابق، ص ص261-262.

[3]-عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص ص313-316.

[4]-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص12.

[5]-أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص16.

[1]-ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص460.

يدرس بالجوامع الكبيرة احتراما له ورغم عناية الجزائريين به إلا أنهم لم يؤلفوا فيه الشـــيء الكثير فظل هذا الميدان خاليا ماعدا بعض الأمور التقليدية مثل الشروح والحواشي[1].

كذلك شأن علماء المغرب فإنهم برزوا في الفقه وتضلعوا فيه حتى تصدر عدد منهم للفتوى ووضـــع كتب في النوازل وكان من أبرز الفقهاء عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري الذي ألف نظم المرشد المعين في مبادئ الفقه والتوحيد، وكثر التأليف من كتب الفقه والعقائد حواش وشروح.[2]

-علوم اللغة والتاريخ:

شهدت هذه العلوم إقبالا فظلت الألفية والأجرومية تحظيان بعناية الطلاب والأساتذة، كما أن المتخصـــصـــين في النحو أو اللغة قليلون، كما اعتنى المغاربة بالتاريخ ففي القرن السادس عشر والسابع عشر كان المؤرخون ينالون حظوة لدى السلاطين فكلفوا بوضع تاريخ للدولة مثل: مناهل الصـــفا لأبي فارس عبد العزيز الفشـــتالي والمنتقى المقصـــور على مآثر مولانا المنصور لأحمد بن القاضي[3].

---

[2]–أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ص25–31.

[3]–ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص461.

[4]–ابراهيم حركات: المرجع نفسه، ص465.

الفصل الثاني

العلاقات السياسية مع الدولة السعدية

المبحث الأول: علاقات بيلربايات الجزائر مع الأشراف السعديين

المطلب الأول: العلاقات في عهد محمد الشيخ وعبد الله الغالب(1549-1573م)

المطلب الثاني: العلاقات في عهد محمد المتوكل وعبد الملك (1573-1578 م)

المبحث الثاني: علاقة أحمد المنصور وخلفاؤه مع بيلربايات وباشوات الجزائر

المطلب الأول: العلاقة في عهد أحمد المنصور(1578-1603م)

المطلب الثاني: علاقة الباشوات مع المغرب بعد المنصور(1603-1659)

منذ بداية القرن السادس عشر شهدت الجزائر بداية التواجد العثماني حيث أصبحت إيالة[1] عثمانية ابتداء من سنة 1519م، وكان المغرب في هذه الفترة يعيش في ظل الأسرة الوطاسية (1471-1554م)، وبداية ظهور الأسرة السعدية (1509-1659م)، التي أعادت توحيد البلاد تحت سلطتها حيث سادت بين المغرب السعدي والجزائر العثمانية علاقات سياسية ترنحت بين السلم والحرب، لعدة أسباب نحاول معرفة حقيقتها فيما يأتي.

المبحث الأول: علاقات بيلربايات الجزائر مع الأشراف السعديين

المطلب الأول: العلاقات في عهد محمد الشيخ وعبد الله الغالب (1549-1573م)

-عهد محمد الشيخ(1549-1557م):

إن أول اتصال بين حكام الجزائر والمغرب، يعود إلى عهد الشريف محمد الشيخ المؤسس الفعلي لدولة السعديين[2]، الذي استطاع منذ سنة 1549م، السيطرة على كامل البلاد من فاس إلى وجدة[3]، حيث أنه في سنة 1550م، جهز جيشا قويا جعل قيادته لابنه الحرّان، هذا ما يبين لنا أن السعديين هم أول من بدأ التعرض للجزائر، حيث ظهرت أطماعهم من خلال محاولتهم إبعاد العثمانيين عنها وضمها إلى سلطتهم[4]، وما يؤكد هذا الطرح هو قول صاحب الاستقصا أبو العباس أحمد الناصري " لما فتح أبو عبد الله الشيخ حضرة فاس في التاريخ المتقدم تاقت نفسه إلى الاستيلاء على المغرب الأوسط،وكان يعز عليه استيلاء الترك عليه مع أنهم أجانب من هذا الإقليم ودخلاء فيه، فيقبح بأهله وملوكه أن يتركوهم يغلبون على بلادهم، لاسيما وقد فرّ اليهم عدو من أعدائه وعيص من أعياص أقتاله وهو أبو حسون الوطاسي، فرأى الشيخ من الرأي وإظهار القوة في الحرب أن يبدأهم قبل أن يبدؤوه فنهض

---

[1]-إيالة: هي أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، للمزيد ينظر، سهيل صابان: المرجع السابق، ص45

[2]-أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 329.

[3]- Chantal de la veronne : relation entre le maroc et la turquie dans la seconde moitié du 16 e siecle et le début du 17 e siecle (1554-1616)،revue de l'occident musulman et de la méditerranée،1973،n= 15-16، P 391.

[4]-أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 329.

من فاس قاصدا تلمسان في جموعه إلى أن نزل عليها وحاصرها تسعة أشهر...ونفى الترك عنها".[1]

ففي الوقت الذي وصلت فيه جيوش السعديين إلى نهر الشلف، كان حسن بن خير الدين سائرا بجيش قوامه خمسة عشر ألف من الجزائريين، وثمانية آلاف مجاهد من زواوة تحت بقيادة سلطان بني عباس عبد العزيز، متجهين نحو وهران أين وصلتهم أنباء احتلال تلمسان، من طرف السعديين فتم تغيير الوجهة، أين دارت معركة عنيفة أسفرت عن انهزام السعديين، ثم كانت معركة ثانية بعد وصول مدد للسعديين بقيادة الشريف عبد القادر، الذي قتل في المعركة، بعدها انسحب السعديون إلى ما وراء الملوية، وعاد الجيش الجزائري إلى تلمسان، أين نصّبوا على العرش الأمير الحسن بن عبد الله الثاني[2].

-مساعدة العثمانيين لأبي حسون في استعادة عرشه:

بعد سيطرة السعديين على فاس سنة 1549م، لجأ آخر السلاطين الوطاسيين أبو حسون إلى إسبانيا وحاول حثها وترغيبها في مساعدته على استرجاع سلطانه، لكنه لما يئس توجه نحو البرتغال واستنجدهم فلبوا رغبته لأن سلطتهم بدأت تنحصر في السواحل المغربية، وذلك سنة 1552م، حيث أرسلوا معه قوة بحرية لكنها وقعت في أسر أتراك الجزائر مما اضطر أبا حسون أن يذهب إلى الجزائر لملاقاة صالح رايس، وطلب العون منه[3]، وحدث الاتفاق وخرجت القوات العثمانية بقيادة صالح رايس سنة 1553م، أين تصادمت مع قوات السعديين في بادس واستطاعوا هزيمتهم[4]، وواصلوا تقدمهم نحو فاس حتى وصلوا إلى واد ايناون، فدارت معركة عظيمة بين الطرفين، انهزم فيها محمد الشيخ وانسحب إلى مراكش، ودخل أبو حسون إلى فاس أين استقبله أهلها بالفرح[5]، وذلك بتاريخ 1554م، وأصبح يدعو

---

[1]-أبو العباس الناصري: المصدر السابق، ج5، ص 25.

[2]-أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 329.

[3]-عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص ص78، 79.

[4]-عبد الكريم كريم: المرجع نفسه، ص 80.

[5]-مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 23-26.

للعثمانيين على المنابر طيلة ثمانية أشهر حتى استردها السعديون سنة 1554م، وقتل أبو حسون.[1]

بعد هذه الواقعة أرسلت الخلافة العثمانية سفارة تعد الثانية، حيث الأولى كانت سنة 1553م، برئاسة الفقيه العلامة أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الأصل، والتي تمحورت حول اعتراف السلطان العثماني باستقلال المغرب مقابل الدعاء له على المنابر وإطلاق سراح الأسرى الوطاسيين لكن تلك السفارة فشلت[2].

أما مضمون السفارة الثانية فإنه لم يختلف عن الأولى، والتي طالبت السلطان السعدي بالاعتراف بالخليفة العثماني والدعاء له على المنابر، ورسم اسمه على السكة، لكن محمد الشيخ رفض لأنه رآها منقصة لشخصه، فهو يرى نفسه شريفا وكل قبائل المغرب بايعته بالخلافة ونادته بأمير المؤمنين[3].

ويبدو أن السلطان العثماني هو كذلك لم يرضه هذا الرفض، لأن كل العالم الاسلامي اعترف بخلافته على المسلمين، ومن هنا يرجح أن مقتل محمد الشيخ سنة 1557م، كان بإيعاز من السلطان العثماني، عن طريق مجموعة من الجند الأتراك في جيشه[4]، حيث تمكن جندي اسمه حسن حسب طوريس أرسله باشا الجزائر، لقتل الشريف السعدي، وبالفعل ذهب إلى المغرب زاعما أنه غير راض عن حاكم الجزائر، وانضم إلى صفوف محمد الشيخ الذي كان بصدد محاربة بربر جبل الأطلس حيث تمكن من قتله[5].

---

[1]–عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص 08.

[2]–أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 30–31.

[3]–ولندة الأرقش، عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، دط 2003، ص ص19–20.

[4]–ولندة الأرقش: المرجع السابق، ص ص20–21.

[5]–دييغو دي طوريس: المصدر السابق، ص ص220–221.

-عهد عبد الله الغالب (1557-1573م):

بعد مقتل السلطان محمد الشيخ بلغ الخبر لولده عبد الله الغالب، فتجهز وحاصرهم في تارودانت، حتى استطاع القضاء عليهم[1]، بعدها تولى الخلافة بعد أبيه حيث حدث، صراع بين الإخوة فهرب الأمير عبد الملك إلى الجزائر ثم إلى إسطنبول راجيا السلطان العثماني مساعدته في استعادة عرشه، وعندما فشل أخوه عبد المؤمن في السيطرة على فاس ذهب إلى تلمسان[2]، ثم إلى الجزائر أين استقبله حسن باشا حيث أعجب بحسن سلوكه، فزوجه إحدى بناته وأسند اليه حكم تلمسان.[3]

ومن هنا يبدو أن العلاقات بين أتراك الجزائر وعبد الله الغالب لن تكون جيدة، وذلك بسبب مقتل والده على أيديهم وإيوائهم لإخوانه الهاربين منه، وهذا ما سيؤدي إلى صدام بين القوتين كما سنرى.

-حملة حسن باشا على المغرب سنة 1558م ورد الفعل السعدي:

إن هدف الحملة التي قام بها حسن بن خير الدين هي من أجل فك الحصار على الأتراك المحاصرين في تارودانت، لكن عبد الله الغالب تمكن من القضاء عليهم كما ذكرناه سابقا، وعندما علم بخبر الحملة جهز جيشا[4]، قوامه ثلاثون ألف فارس وعشرة آلاف من المشاة وأربعة آلاف من حملة البنادق[5] بينما تشكلت قوات الحملة من عدد تراوح بين أربعة وتسعة آلاف تركي، منهم ثلاثة آلاف على ظهر أربعين سفينة وستة آلاف من العرب، ووقعت المعركة قرب وادي اللبن عام 1558م، والتي انهزم فيها حسن بن خير الدين لأن قواته كانت أكثرها من المشاة، وقوات السعديين كانت تتألف من الخيالة.[6]

---

[1]-عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص 33.

[2]- Chantal de la veronne : op- ci, p 392.

[3]- دييغو دي طوريس : المصدر السابق، ص 230.

[4]-عمار بن خروف : المرجع السابق، ص 185.

[5]-Haedo : op-cit, P 115.

[6]- عمار بن خروف : المرجع السابق، ص 186.

وهكذا فإن سياسة عبد الله الغالب تمثلت في مقاومة التوسع العثماني والاستعانة بأعدائهم الإسبان والبرتغاليين، حيث عمل على مهادنة المسيحيين بل وصل الأمر إلى حد التنازل عن مرسى القصر، بموجب معاهدة سنة 1559م، مقابل تزويده بالسلاح.[1]

وفعلا ففي سنة 1560م شن عبد الله الغالب حملة على تلمسان متحججا باستنجاد أهل تلمسان به[2]، لكنه لم يلبث فيها طويلا حيث انسحب منها بعد عودة حسن بن خير الدين إلى الجزائر العاصمة، وفك حصاره عن بني عباس.[3]

بعد هذه الأحداث حاول السلطان العثماني تلطيف الأجواء وتسوية النزاع الحاصل بين إيالة الجزائر والسلطان السعدي، فتم استقبال الرسول العثماني واتفقا على إرسال هدية سنوية للسلطان العثماني، ومنذ سنة 1560م هدأت حدة الصراع بين العثمانيين والسعديين وكف كل طرف يده عن التدخل في شؤون الآخر، غير أن قتل السلطان السعدي لأخيه عبد المؤمن في تلمسان وتّر العلاقات من جديد، فعزم العلج علي[4] على إعداد حملة على المغرب سنة 1571م، لكنها تأجلت بسبب مشاركة الأسطول الجزائري في معركة ليبانتي[5] وهكذا بقي الطرفان على حذر حت موت السلطان عبد الله الغالب.[6]

المطلب الثاني: العلاقات في عهد محمد المتوكل وعبد الملك (1573-1578 م)

لما توفي السلطان عبد الله الغالب سنة 1573م تولى العرش مكانه ابنه محمد المتوكل، الذي كان ولي عهد أبيه حيث تمت البيعة له[7]، وهكذا دخل المغرب مرحلة حاسمة

---

[1]-عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص 87.

[2]-عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 189.

[3]-سنة 1559م تمرد أمير بني عباس واصطدم بقوات حسن باشا قرب تالا مزيتة، حيث قتل عبد العزيز أمير بني عباس، للمزيد ينظر، صالح عباد: المرجع السابق، ص86.

[4]-تولى علي باشا حكم الجزائر سنة976هـ/1569م، للمزيد ينظر، ابن المفتي حسين بن رجب شاوش: تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، در وتح، فارس كعوان، بيت الحكمة، ط1، 2009، ص41.

[5]-جرت معركة ليبانتي سنة1571 م بين أسطول الحلف المقدس والأسطول العثماني بقيادة العلج علي، حيث مني بهزيمة فيها، للمزيد ينظر، صالح عباد، المرجع السابق، ص 94.

[6]- عمار بن خروف : المرجع السابق، ص 197.

[7]- أبو العباس الناصري : المصدر السابق، ص 58.

من تاريخه، حيث بادر بإرسال سفارة إلى السلطان العثماني، وهذا بعد خشيته من أطماع عمه عبد الملك المتواجد عند أتراك الجزائر في انتزاع الحكم من يده، وتضمنت السفارة هدية للسلطان العثماني ورسالة تؤكد الرغبة في المحافظة على الاتفاقيات السابقة والاعتراف بسيادة السلطان العثماني وذلك سنة 1574م[1].

وفي نفس الوقت تابع خطة والده في التقرب من القوى المسيحية ومهادنتها، وذلك لصد خطر العثمانيين فعقد اتفاقية تجارية مع إنجلترا كان يهدف من ورائها الحصول على أسلحة وذخائر لمواجهة العثمانيين ومقاومة عمه عبد الملك، أما العثمانيون فإنهم بعد انتصارهم على الإسبان في تونس فقد ازدادت الرغبة لديهم لضم المغرب تحت سلطتهم، خاصة بعد انشغال ملك إسبانيا بأحداث أوربا الغربية، فانتهزوا الفرصة سنة 1576م[2] حيث جهزوا حملة على المغرب بقيادة رمضان باشا[3]، الذي اشترط على عبد الملك وأخوه أحمد المطالبين بالعرش أن يدفعا تكاليف الحملة[4]، وهكذا تحركت الحملة التي تألفت حسب هايدو من ستة آلاف من حملة البنادق الأتراك وألف من، أهل زواوة أتباع ابن القاضي وثمانمائة من الصبايحية وستة آلاف من الفرسان العرب وإثنا عشر مدفعا وذلك في جانفي سنة 1576م، ووصلت إلى فاس في مارس من نفس السنة، لتواجه قوات المتوكل المتشكلة من ثلاثين ألف فارس ومثلها من المشاة بينهم ثلاثة آلاف من حملة البنادق العلوج والأندلسيين[5]، وعدد من المدافع والتقى الجمعان بالروكان قرب فاس حيث انهزم الجيش السعدي بعد حدوث خيانة في صفوف جيشه، حيث فر المتوكل تاركا محلته[6] إلى جزيرة بادس، ثم إلى لشبونة

---

[1]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 201.

[2]–عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص ص97–99.

[3]–تولى رمضان باشا حكم الجزائر سنة 982 هـ/ 1574 م، للمزيد ينظر، ابن المفتي، المرجع السابق ص42

[4]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 203.

[5] –Haedo: op–cit, P 161.

[6]–مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص49، الافراني: المصدر السابق، ص 62.

عند الملك البرتغالي دون سبستيان طالبا منه العون على عمه[1]، وذلك ما سيتحقق كما نبينه لاحقا.

أما عبد الملك فانه بعد الانتصار على ابن أخيه دخل مدينة فاس واستقبل استقبالا حسنا، وجمع من أهلها مالا لتسديد تكاليف الحملة التي قدرت بخمسمائة ألف وعشرة آلاف عن كل رحلة وعشرين من الأنفاض التي تركها المتوكل، وأعطاهم تحف وخيول وسيوف ثم ركب معهم حتى قطعوا واد سبو وودعهم .[2]

عهد عبد الملك (1576-1578م):

بعد انتصار عبد الملك على ابن أخيه المتوكل تلقب بالمعتصم، وبدأ يعمل على اعادة الأمن والهدوء للمغرب دون التوقف عن ملاحقة المتوكل الذي كان يطمع في استرداد عرشه، حيث خاض ضد عمه أربعة وعشرين معركة خلال عامين لم ينتصر في أي واحدة.[3]

أما على الصعيد الخارجي فان الفترة التي تلت الحملة الجزائرية على المغرب، قد شهدت عدة اتصالات بين حكام الجزائر والسلطان عبد الملك حيث تم استئناف تبادل السفراء، حيث تواجد في مارس1577م ممثل عن الشريف السعدي ووصل في ماي من نفس السنة إلى مراكش سفير من حاكم الجزائر.[4]

لكن التوتر عاد من جديد بين الجارين، حيث تدخل رمضان باشا عسكريا في شرقي المغرب، ويبدو أنه انزعج من تقرب المعتصم من الإسبان[5] وفي المقابل قام المعتصم ببعث سفارة إلى السلطان العثماني مراد الثالث[6] سنة 1577م، تتضمن هدية ورسالة شكر وتأكيدا

---

[1]-عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص 09.

[2]-عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص51.

[3]-عبد الكريم كريم: المرجع نفسه، ص 99.

[4]-Chantal de la Veronne, op-cit, p394.

[5]-عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص 102.

[6]-ولد مراد الثالث عام 953 هـ/ 1546 م وحكم بين سنتي (982 /1003هـ) (1574/1594 م) ينظر محمود شاكر: التاريخ الإسلامي العهد العثماني، المكتب الإسلامي، ط4، 2000، ص ص125؛127.

على سيادة السلطان العثماني كما حملت هذه السفارة شكاوى وتظلمات عبد الملك ضد تصرفات بحارة الجزائر في الموانئ المغربية، وتدخلات رمضان باشا سابقة الذكر، جعلت السلطان العثماني يقدم على عزل رمضان باشا واستخلافه بحسن فنزيانو[1] وأمره بعدم التعرض لمملكة المغرب، لأن السلطان العثماني كان يرى السلطان السعدي عبد الملك تابعا له، تجب حمايته من الخطر الخارجي[2] وهذا ما يتأكد في الأحداث القادمة.

معركة وادي المخازن (1578م):

عند انهزام المتوكل أمام عمه وفشله في استعادة السلطة التجأ إلى البرتغاليين أعداءه بالأمس، رغم إنكار العلماء لهذا الفعل، لكن حبه للسلطة كان أقوى من أن يستمع لتحذيراتهم[3]، فارتمى في أحضانهم وطلب منهم العون لاسترداد ملكه، لكنهم اشترطوا عليه في حالة النصر أن يأخذوا سواحل البلاد ويتركوا داخلها له، فتم الاتفاق على ذلك، فخرجت الحملة في صيف 1578م في ستين ألف فنزلوا على سواحل المغرب من طنجة إلى أصيلا وكان مع المتوكل نحو ثلاثمائة من أصحابه.[4]

أما السلطان العثماني فإنه قبل هذه الأحداث وحين تأكد من عزم البرتغاليين على غزو المغرب فإنه أرسل العلج علي رسولا إلى عبد الملك يعرض عليه المساعدة العسكرية، كما أمر باشا الجزائر بإرسال أربعة آلاف أو خمسة آلاف، ورغم حاجة السلطان السعدي لهذا الدعم إلا أنه أصر على عدم استقدام الأسطول العثماني وذلك لمخاوفه من أطماع العثمانيين.[5]

ورغم ذلك فإنه عشية الصدام بين البرتغاليين والمغرب فإن القوات البحرية الجزائرية قد خرجت في عشرين جويلية 1578م، قبل المعركة بأربعة أيام على رأس عدد كبير من

---

[1]–تولى حسن باشا علج علي قبطان بعد ولاية رمضان سنة 985هـ/1577م، ينظر، ابن المفتي، المرجع السابق، ص 43

[2]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص ص211–217.

[3]–ولندة الأرقش: المرجع السابق، ص 21.

[4]–مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 58.

[5]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص ص217–218.

السفن، حوالي ستة وعشرون سفينة توجهت نحو الشواطئ الإسبانية والمغربية، استعداد للتدخل حين طلب النجدة.[1]

هذا ما كان من جانب العثمانيين أما السلطان عبد الملك فانه تجهز لهذه الحملة فخرج إلى سلا وأرسل القبائل أن يأتوه، كما أرسل إلى أخيه بفاس أن يخرج بالجيش، فكان تعداد جيش السعديين ستة وثلاثين ألفا والنصارى ضعفهم مرتين، والتقى الجيشان بوادي المخازن[2]، أين كانت الغلبة للسعديين ومني البرتغاليون وحليفهم المتوكل بهزيمة نكراء[3]، حيث مات في هذه المعركة الملك البرتغالي سبستيان متأثرا بجراحه، ومات حليفه المتوكل غرقا في النهر، أما عبد الملك فمات في بداية المعركة متأثرا بمرضه الذي أصابه في طريقه للمعركة، وبالتالي سميت كذلك معركة الملوك الثلاثة[4].

وهكذا مكن هذا النصر السعديين من استعادة هيبتهم حيث وفدت على أحمد المنصور الذي بويع بالخلافة في أرض المعركة السفارات محملة بالهدايا اعترافا بسلطانه.[5]

---

[1]– Haedo,op,cit,p 171.

[2]- ينظر الملحق رقم 02، ص 77.

[3]–مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 60.

[4]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 219.

[5]–ولندة الأرقش: المرجع السابق، ص 22.

المبحث الثاني: علاقة أحمد المنصور وخلفاؤه مع بيلربايات وباشوات الجزائر

المطلب الأول: العلاقة في عهد أحمد المنصور 1578-1603 م

لما تمت البيعة للسلطان أحمد المنصور بوادي المخازن، قفل راجعا إلى فاس وعند دخوله إليها جددت له البيعة ووافق عليها من لم يحضرها يوم وادي المخازن.

المرحلة الأولى: 1578-1587م

يبدو من البداية أن أتراك الجزائر العثمانيين، لم يكونوا يفضلون تولي أحمد المنصور الحكم، بل أنهم حاولا عرقلة وصوله للعرش، هذا الشيء الذي سيؤثر على العلاقات بين البلدين، لأنه عند انتهاء المعركة والإعلان عن وفاة عبد الملك، سعى الموالون للأتراك العثمانيين التحريض لتولية إسماعيل بن عبد الملك، وأخذوا ينادون بأحقيته في العرش[1]، لكن المغاربة رفضوا هذه النداءات وبايعوا أحمد المنصور[2].

بعد هذا النصر العظيم وجه المنصور الذي انتشرت أخباره في المشرق والمغرب فبعث برسالة إلى السلطان العثماني يخبره بالنصر، فوفدت إليه الوفود من كل جهة بالتهنئة وكان أولهم وصولا رسول حاكم الجزائر حسن فنزيانو، يقول الفشتالي: " فقد وصلوا مراكش بهدايا رسلهم وكان يوم بلوغهم إليها يوما مشهودا عند أهلها تحدث عنه الناس".[3]

كما وفد إليه وفد السلطان العثماني الذي ضم عددا من كبار القوم، كما أوعز إلى مفتي الجزائر الشيخ العالم الصدر الكبير الخطيب الشهير أبي الطيب البسكري بمصاحبتهم إلى المغرب حيث اختاره وكلفه بأداء الرسالة والإعراب عن فحواها، حيث يفهم من قول الفشتالي:" فاهتز لذلك أمير المؤمنين سرورا من أعواده"، أن المنصور اطمأن قلبه لهذه الرسالة وأسعدته، غير أن الفشتالي لم يذكر ما جاء فيها وربما اقتصر فحواها على التهنئة فقط.

---

[1]-عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 41.

[2]-عمار بن خروف: المرجع السابق، ص220.

[3]-عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 48-49.

كما حمل الوفد معه هدايا ثمينة "من الملابس الفاخرة وبعث معها سيف محلىّ بديع الصنعة، فاخر الحلي والزينة".[1]

ويبدو أن المنصور كان يحرص على بقاء بلاده مستقلة، غير خاضعة لأي سلطة حيث أنه رفض التنازل عن شمال المغرب لابن أخيه مولاي إسماعيل كما أنه لم يعاد الإسبانيين أو البرتغاليين بعد مجيء السفارة العثمانية، بل بدأ يتقرب منهما خوفا من أطماع العثمانيين[2]، حيث نراه رحب بطلب فيليب الثاني من تسليم جثة ابن أخته سباستيان للوفد الإسباني البرتغالي المشترك، الذي توجه للمغرب في أعقاب معركة وادي المخازن، حيث سلمهم الجثة بدون مقابل، على الرغم من استعداد الوفد دفع فدية كبيرة فيه[3].

بينما أكابر النصارى تمت فديتهم بمال كبير من الفضة والسلع[4]، كما أطلق سراح السفير الإسباني الذي وقع هو كذلك في الأسر، وعند مجيء رسل الملك الإسباني سنة 1579م لتقديم هدية ملكهم، استغل المنصور المناسبة وحاول إبرام اتفاق يضمن من خلاله التعاون ضد العثمانيين، الذين كان متخوفا من أطماعهم رغم المودة التي أبرزوها لكن أخبار هذا الاتفاق بلغت مسامع الوفد العثماني الموجود في تلك الفترة بالمغرب، فنقل هذه الأخبار بدوره إلى السلطان العثماني، الذي انزعج من هذا التقارب الإسباني المغربي[5]، فقام سنة 1579م بتعيين رمضان باشا حاكم الجزائر سابقا واليا على تلمسان من أجل منع هذا التحالف، وهو الهدف غير المعلن من أجل تقويض سلطة السعديين[6] لأن في هذا التحالف تهديد صريح للتواجد العثماني بالجزائر.

---

[1]–عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص50–51.

[2]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 222.

[3]–عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص .49

[4]–مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 65.

[5]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 223.

[6]– Chantal de la veronne,op,cit,p 395.

كما أن المنصور في هذه الفترة ازدادت مخاوفه من التدخل العثماني، حيث ثار ضده ابن أخيه داود بن عبد المؤمن سنة 987هـ/1579م في إقليم السوس،[1] حيث بعث إليه رمضان باشا رسالة يؤكد له فيها استعداده لتقديم يد العون " ولما عزمنا الآن بقدومنا إلى مدينة تلمسان فأول ما سألنا عن أحوالكم...لكي ننشئ معكم عهدا تقادم لنا مع أسلافكم، فبعثنا لكم هذا المكتوب لعلكم تعلموننا في جوابكم لنا بما عندكم من مأمول ومرغوب"[2].

لكن نجاح المنصور في إخماد هذه الثورة سنة 1580م، جعلت السلطان مراد الثالث يفكر في طريقة أخرى يستميل بها أحمد المنصور، فأرسل إليه في سبتمبر 1580م رسالة يعرض عليه التعاون ضد الإسبان وإمداده بأسطول حربي، كما عرض عليه تزويجه احدى بناته، إلا أن المنصور تثاقل في رد الجواب، وهذا ما يدل على أنه لم يثق في نوايا السلطان العثماني، مما أغضب هذا الأخير لإهماله وفده، وأمر العلج علي بقيادة الأسطول سنة 1581م لغزو المغرب، فوصل إلى الجزائر في شهر جوان 1581م.[3]

في ذلك الحين كان المنصور يرابط بقواته عند نهر تانسيفت متحججا بأخذ البيعة لابنه محمد المأمون، كما أنه أعطى الأوامر لقواته بالاستعداد وذلك كما بينه الفشتالي في كتابه " فشمر أيده الله بتجهيز عساكره الهاشمية وكتائبه المظفرة الأمامية...إلى تخوم المملكة لسد فروجها وحياطة ثغورها مخافة أن يفاجئ على بعضها على حين غفلة وأرصدت له العساكر على كل ثنية بالمغرب وجلست للوثبة على براثنها"[4].

وإلى جانب الاستعداد العسكري وجه المنصور سفارة إلى إسطنبول تحمل هدية عظيمة، ويعتذر عما بدر منه وكان ممن أرسله القائد أبو العباس أحمد بن ودة العمراني والكاتب الشهير أبو العباس أحمد بن يحي الهوزالي[5].

---

[1]–عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص 110.

[2]–ينظر: الملحق رقم 03، ص 78.

[3]–عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص 111–112.

[4]–عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق ص ص62 –63.

[5]–أبو العباس الناصري: المصدر السابق، ص 96.

لكن العلج علي اعترض هذه السفارة وحاول أن يثنيهم عن المسير، فاستطاع إقناع القائد ابن ودة، وأكمل الهوزالي مسيره وقد استخف به وظن أنه لا يحسن الكلام، فوفد على السلطان مراد الثالث وقدم له الهدية واعتذر نيابة عن السلطان أحمد المنصور، فقبل اعتذاره مع لومه لهم على التراخي في شؤون الملوك.[1]

وفي أعقاب ذلك استقبل المنصور سفارة عثمانية أرسلها مراد الثالث لتخبره بالانتصارات العثمانية ضد الصفويين في إيران، وتأكيدا لعودة العلاقات إلى مجاريها، وقام المنصور بإرسال جوابه في سفارة تتكون من قاضي القضاة بمراكش أبي القاسم الشاطبي والعالم أبي زيد عبد الرحمان بن منصور الشياظمي تشيد بالروابط بين الدولتين، وتهنئه بالنصر على الشيعة الروافض كما حملت السفارة المغربية رسالتين إلى والي الجزائر حسن فنزيانو وقبطان البحر علج علي[2].

فكل ما قام به المنصور دليل على اتباعه سياسة حذرة تجنبه الإذعان لسلطة العثمانيين، كما تبين سعيه لجعل المغرب مستقل بذاته، فهذه سياسة المنصور الحذرة في المرحلة الأولى، فكيف ستكون سياسته مع نظام الباشوات الجديد في الجزائر؟ ذلك ما سنعرفه لاحقا.

المرحلة الثانية:(1587-1603م)

بموت علج علي سنة1587م بدأ عهد جديد في العلاقات الجزائرية المغربية، حيث قام السلطان العثماني باستدعاء حسن فنزيانو من الجزائر وتوليته أميرا للبحر[3] خلفا للعلج علي، كما تم الاستغناء عن نظام البيلربايات وتعويضه بنظام حكم الباشوات، حيث يعين الحاكم برتبة باشا لمدة ثلاث سنوات.

وكان من بين الأسباب التي دفعت الباب العالي إلى تغيير نظام البيلربايات هو:

---

[1]-أبو العباس الناصري: المصدر السابق، ص96.

[2]-عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص ص 114-115.

[3]-عبد الكريم كريم: المرجع نفسه، ص 125.

تراجع حدة الصـــراع بين العثمانيين والإســـبانيين في حوض الغرب المتوســـط، كذلك رغبة السلطان مراد الثالث في إقامة سلام مع أحمد المنصور، وتخليه عن مطامع الدولة العثمانية في ضـــم المغرب إلى ســـلطته، واقتناعه باســـتقلالية هذا البلد، ومما زاد من مخاوف الباب العالي هو ســـياســـة البيلربايات الرامية للاســـتقلال عن الخلافة العثمانية لاســـيما بعد تنامي قوتها.[1]

وهكذا فإن هذا التغيير أدخل البلاد في فوضـــى واضـــطراب وذلك لقصـــر فترة حكم الباشـوات مما جعلهم ينشـغلون بجمع الأموال دون الاهتمام بتثبيت سـلطة الدولة في الإيالة، وهذ الوضـع كان يصـب في صـالح المنصـور الذي لم يعد يحسـب للعثمانيين أي حساب مثل السابق ولا يخشى سطوتهم عليه.[2]

وبالتالي نجد أن العلاقات الجزائرية العثمانية في هذه الفترة قد شهدت تحسنا، وما يدل على ذلك هو اســـتقبال المنصـــور في جانفي 1589م للوفد العثماني، كما بعث هو بالمقابل سـفرة إلى السـلطان العثماني مراد الثالث مع علي التمجروتي ومحمد الفشـتالي يحملان هدية وذلك في أوت 1589م[3]، وربما كان ســـبب هذا التقارب مع العثمانيين ومســـالمتهم لاســـيما حكام الجزائر ربما يعود لانشغال السعديين بالمشكلة البرتغالية واستعدادهم لفتح السودان رغم أن الظروف كانت سـانحة للمنصـور لو أراد أن يتدخل في شـؤون الجزائر الحرجة حيث كان أحمد باشا يواجه فتن واضطرابات بالجزائر وطرابلس والتي أدت إلى مصرعه[4]، فخلفه خضر باشـــا الذي عرف عهده أخطر تمرد والمتمثل في تمرد أمير بني عباس ســـنة 1590م الذي رفض الخضوع لسلطة العثمانيين وامتنع عن دفع الضرائب.[5]

---

[1]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 236.

[2]–عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص 125.

[3]–عبد الكريم كريم: المرجع نفسه، ص ص135–136.

[4]–صالح عباد: المرجع السابق، ص 100.

[5]–Haedo, op–cit, p 207.

في هذه الفترة بالذات نجد أن المنصور قد راسل خضر باشا، ويعرب له عن نيته في حسن الجوار وتقديم يد العون له في حال طلب مساعدته وهذ يدل على نية المنصور في الحفاظ على العلاقات الحسنة "ونحن قد أنفذنا إليكم الجواب على سبيل الفور...لما تقتضيه حرمة الجوار فثقوا بأن ودادكم عندنا محفوظ...ثم اعلموا أن آنستم من جانب الكفرة دمرهم الله عمارة تنشأ أو أسطولا يؤم ناحيتكم واحتجتم الينا فنحن بحمد الله بأنفسنا وأموالنا وأجنادنا موجودين بنصرتكم على أتم أهبة الاستعداد".[1]

كما أن خضر باشا قد قام ببعث السفير أبو عبد الله محمد المسعود الوهراني إلى المنصور، يعرض عليه مساعدته في قمع تمرد ابن أخيه الناصر[2]، المدعوم من طرف الإسبان، لكن كلا الطرفين بقيا على حذرٍ من تجسيد أقوالهما، فلم يستعن حكام الجزائر بالمنصور لمواجهة حملة دوريا سنة 1604م أو من أجل القضاء على ثورة القبائل كما أن المنصور تصرف بنفس الشكل، حيث عمل جاهدا على القضاء على ثورة الناصر دون قبول مساعدة العثمانيين المعروضة عليه، وكذلك الشأن بالنسبة للإسبان، حيث فضل الاتصال بالإنجليز، عارضا عليهم القيام بعمل مشترك ضد القواعد الإسبانية بالمغرب ولم يطلب ذلك من الجزائر.[3]

كما شهدت فترة المنصور لاسيما في أواخر حكمه، تقرّب ابنه محمد الشيخ من العثمانيين عن طريق تقريب القبائل الموالية للعثمانيين، والمحبة لهم ومنحهم مناصب في الجيش، واختار منهم مستشارين مما يؤكد صلة محمد الشيخ بالعثمانيين[4]، الشيء الذي أزعج والده المنصور ورآه تهديدا خطيرا لمملكته رغم أن العثمانيين كانوا في غاية الضعف وليس كسابق عهدهم.

---

[1]–رسالة من المنصور للوالي العثماني بالجزائر، ينظر، عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص143.

[2]–عبد الهادي التازي: المرجع السابق،64.

[3]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص244.

[4]–عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص220.

ومن أجل مجابهة هذا الخطر قام المنصـــور كعادته بالتقرب من عدوه التقليدي فيليب الثالث، وعقد معه تحالفا لمواجهة العثمانيين، متجاهلا تدخلات الإســـبان الســـابقة ودعمهم لثورة الناصـر سـنة 1595م[1]، إلا أن المنصـور كان دائما يتقرب ويبتعد عن الإسـبانيين كلما اقتضـت الظروف، وبالتالي قام بمواجهة ابنه في فاس، لكن محمد الشـيخ حسـب أبو العباس الناصـري فانه تصـدى لهجوم والده عن طريق تهديده باللجوء إلى الجزائر[2]، إن هو نفذ حملته الشـيء الذي أجبره على التوقف، لكن بعد هدوء الأوضـاع نفذ هجومه عليه فلم يستطع محمد الشـيخ أن يهرب إلى تلمسـان فلجأ إلى زاوية الشـيخ الصـالح أبي الشـتاء فقبضـوا عليه وتم سجنه بمكناسة[3].

وهكذا تميزت مرحلة الباشـــاوات في علاقاتها بالمنصـــور بالســـلمية وتبادل للرســـائل وحسن الجوار، فهل ستستمر هذه العلاقات على نفس المنوال في عهد أبناء المنصور؟

المطلب الثاني: علاقة الباشوات مع المغرب بعد المنصور(1603-1659م)

كانت الجزائر في هذه الفترة تعيش أوضـاعاً صـعبة وتشـهد اضـطرابا سـياسـيا، ميزه التنافس الشـديد بين الإنكشـاريين ورياس البحر والكراغلة، كما أن الباشوات لم يكونوا بمسـتوى قوة وحزم البيلربايات، فخرجت الأمور عن ســيطرتهم، حيث كثرت الثورات لاســيما في بلاد القبائل، كما أن أوضـاع المغرب لم تكن بأحسـن منها في الجزائر، فبعد وفاة المنصـور سـنة 1603م، حدث صـراع على السلطة أدى إلى إضـعاف المغرب وإنهاك قواه كما أصبح مجزأ. فكيف كانت العلاقات بين الدولتين في ظل هذه الأوضاع؟

[1]-عمار بن خروف: المرجع السابق، ص247.

[2]-أبو العباس الناصري: المصدر السابق، ص170.

[3]-أبو العباس الناصري: المصدر نفسه، ص176.

1-العلاقات في عهد أبناء المنصور وخلفاؤه(1603-1659م):

بعد وفاة المنصور سنة 1603م بالوباء[1] في مدينة فاس، تم أخذ البيعة لابنه زيدان بإيعاز من القاضي ابن أبي النعيم، يوم الإثنين السادس عشر من ربيع الأول سنة 1012هـ/1604م، وكان المنصور قبل وفاته قد أعطى محمد الشيخ ولاية فاس والغرب وأولاه عهده وجعل زيدان على تادلا وأعمالها، وعند ذهابه إلى فاس استخلف ابنه أبا فارس على مراكش وأعمالها، فعندما بعث أهل فاس لأهل مراكش بمبايعتهم لزيدان رفضوا ذلك.

وبايعوا أبا فارس لأنه خليفة المنصور في حاضرة ملكه مراكش،[2] ومن هنا بدأت الفتنة وتفرقت كلمة أبناء المنصور، واندلعت الحرب بينهم، فاستعان أبو فارس بأخيه محمد الشيخ وأطلق سراحه بعدما أخذ عليه العهود بعدم معصيته، فالتقى الأخوان في أم الربيع حيث انهزم زيدان بعد أن خذله جيشه وانضم نصفه إلى أبي فارس، فهرب زيدان إلى تلمسان وطلب العون من حكام الجزائر العثمانيين، لكنه عندما لم يجد منهم عونا عاد إلى المغرب سنة 1015هـ/1606م[3]، ودخل مراكش وطرد منها ابن أخيه عبد الله بن الشيخ ونظرا لعدم حصول زيدان على دعمٍ عسكري من الجزائر، بدأ منذ سنة 1607م في الاتصال بملك إنجلترا، وبدأ في استخدام المرتزقة الإنجليز في حروبه[4] ويبدو أن هذا التعاون بين زيدان وإنجلترا لم يزعج باشوات الجزائر، لأنهم كانوا مرتاحين للاضطراب الحاصل في المغرب فهو يجعله ضعيفا حتى أنهم أيدوا ثورة المرابط أبي محلي[5] الثائر ضد السعديين، لأن محمد الشيخ سلم مدينة العرائش للإسبان[6].

---

[1]-أبو العباس الناصري: المصدر السابق، ج 5، ص186.

[2]-أبو العباس الناصري: المصدر السابق، ج 6، ص ص3-5.

[3]-ابو العباس الناصري: المصدر نفسه، ج 6، ص ص6-8

[4]-عمار بن خروف: المرجع السابق، ص256.

[5]-هو أحمد بن عبد الله من سجلماسة، للمزيد ينظر، أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ص26

[6]-أبو العباس الناصري: ج6، المصدر نفسه، ص21.

فحتى عند انهزام زيدان أمام المرابط أبي محلي وترك قاعدة ملكه لم يطلب العون من العثمانيين، بل استنجد بالفقيه أبي زكريا يحي بن عبد الله بن سعيد ابن عبد المنعم الحاحي سنة 1022هـ/1613م واستطاع أن يهزم ابي محلي في مراكش[1].

ورغم الظروف التي كانت تمر بها الجزائر والمغرب والدولة العثمانية، إلا أنه كانت اتصالات بين السعديين والعثمانيين، حيث بعث الوزير خليل باشا أميرال الأسطول العثماني رسالة إلى السلطان زيدان، يدعوه فيها إلى مواصلة العلاقات الودية على طريقة أسلافه وذلك سنة 1613م، كما حاول زيدان بعث سفارة إلى إسطنبول سواء عن طريق البحر أو البر عبر الجزائر لكنه لم يفلح لظروف قاهرة، لأن الجزائر قد تعرضت لحملة فرنسية[2]، لكنه استطاع بعدها أن يبعث بسفارة إلى إسطنبول يوم 25 ذي الحجة 1025هـ/24 ديسمبر 1616م[3]، يتقدمها الكاتب عبد العزيز الثعالبي محملة بهدية عظيمة قدرت حسب الإفراني بعشرة قناطير من الذهب، طالبا منه العون العسكري كما كان يفعل مع أسلافه فاستجاب السلطان العثماني لذلك وأرسل له الف ومائتين جندي لكن هذا المدد لم يصل لتعرضهم للغرق، حيث لم ينج منهم إلا القليل فقط[4].

هكذا أصبح زيدان غير قادر على بسط نفوذه ومد سلطته على كامل المغرب، مما جعل الأندلسيين يستقلون في سلا وبالتالي تشتت أحوال المغرب لكن العثمانيين استمروا في التواصل مع خصوم السعديين، لاسيما في أواخر سنوات حكم زيدان، ونظرا لغياب أي دعم له فانه قد مال لمسالمة الإسبان، حيث تفاوض معهم سنة 1627م، كما عمل على إثارة القلاقل ضد العثمانيين، وذلك بتحريض الثائرين عليهم في تلمسان مثلما حدث خلال ثورتي 1625م و1627م[5].

---

[1]–أبو العباس الناصري: المصدر السابق، ص32.

[2]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص259.

[3]–عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص76.

[4]–محمد الصغير الافراني: المرجع السابق، ص346.

[5]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص ص263 –264.

كما تعاون العثمانيون مع قوى محلية غير رسمية مناوئة للسعديين كأندلسيي سلا الذين استقلوا سنة 1627م في ميدان الجهاد البحري، وكان أندلسيو سلا بمثابة عيون للعثمانيين هناك، كما تعاونوا مع المجاهد العياشي ضد الإسبان حيث كان يتلقى مساعدة من العثمانيين، كما ربط العثمانيون علاقاتهم بمقدمي تطوان الذين رفضوا الخضوع لسلطة أبناء المنصور، فكانت سفن العثمانيين تتردد على تطوان لنقل الحجاج أو المسافرين أو التزود بالمؤونة.[1]

وبعد موت السلطان زيدان سنة 1627م خلفه ابنه محمد الشيخ الصغير الذي تميزت سياسته بتقديم تسهيلات تجارية للإنجليز، وعقد معهم معاهدة صداقة عام1637م وحاول جرهم لشن حرب ضد العثمانيين[2].

هذا الضعف الذي أصاب الدولة السعدية في أواخر عهدها، شجع منافسيهم العلويين فبرزوا على الساحة المغربية وبسطوا سيطرتهم على جنوب البلاد، كما استغلوا ضعف حكام الجزائر وأرادوا التوسع شرق وادي ملوية، الذي يعتبر حدا فاصلا بين الجزائر والمغرب، فمنذ سنة 1650م بدأوا يشنون هجماتهم على غرب الجزائر فقام محمد بن الشريف العلوي بالاستيلاء على وجدة وحارب قبائل بني يزناسن الخاضعين لأتراك الجزائر العثمانيين[3].

وواصل زحفه على الجنوب الغربي للجزائر حتى وصل إلى الأغواط وعين ماضي فجاء رد باشوات الجزائر سريعا، حيث خرجت حملة عسكرية باتجاه تلمسان تحمل معها المدافع معلنة الحرب على محمد بن الشريف الذي فر عند سماعه للخبر، ولم يستطع الباشا تتبعه وذلك لأوضاع الإيالة المتردية، فأرسل سفارة له يدعوه فيها للمهادنة بتاريخ 01 جوان 1654م مكونة من أربعة رسل هم الفقيه عبد الله النفزي والفقيه الحاج محمد بن علي

[1]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص ص265–266.

[2]–عمار بن خروف: المرجع نفسه، ص268.

[3]–قادة دين: الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ، عصور الجديدة، ع27، الجزائر،2017–2018، مج7، ص.212.

الحضري المزغنائي، واثنين من أعضاء ديوان الباشا فتوصلا إلى اتفاق يقضي بالتزام الهدنة من الطرفين[1].

كما لم يستطع آخر سلاطين السعديين أحمد العباس القيام بأي دور سياسي بارز أو مواجهة العلويين حيث قتل سنة 1069هـ/1659م وبموته سقطت الدولة السعدية فعليا [2].

وهكذا فإن العلاقات الجزائرية المغربية في عهد أبناء المنصور وأحفاده لم تكن ودية تماما، ولم تكلل بتعاون جدي يساعد البلدين على تجاوز مشاكلهما الداخلية.

بعدما تعرضنا للعلاقات السياسية التي سادت بين الجزائر والمغرب وما اعتراها من تذبذب وصل حتى الصدام العسكري، وكذلك سيطرة الإسبان على أهم المدن الساحلية والمراكز التجارية في البلدين، إلا أن ذلك لم يقف عائقا في وجه العلاقات الاقتصادية ولا التواصل الاجتماعي والثقافي، فيا ترى كيف كانت العلاقات في ظل هذه الظروف في مختلف الميادين سابقة الذكر؟

[1]–قادة دين: المرجع السابق، ص214.

[2]–الافراني: المصدر السابق، ص ص257–258.

الفصل الثالث

العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع السعديين

المبحث الأول: العلاقات الاقتصادية مع السعديين

المطلب الأول: مظاهر التبادل التجاري

المطلب الثاني: مراكز التبادل التجاري

المبحث الثاني: مظاهر العلاقات الاجتماعية

المطلب الأول: الروابط العرقية والمصاهرات

المبحث الثالث: مظاهر العلاقات الثقافية

المطلب الأول: التقارب الفكري بين علماء البلدين من خلال هجراهم

المطلب الثاني: أهم الحواضر العلمية والثقافية

بعدما تعرضنا للعلاقات السياسية التي سادت بين الجزائر والمغرب وما اعتراها من تذبذب وصل حتى الصدام العسكري، وكذلك سيطرة الإسبان على أهم المدن الساحلية والمراكز التجارية في البلدين، إلا أن ذلك لم يقف عائقا في وجه العلاقات الاقتصادية ولا التواصل الاجتماعي والثقافي، فيا ترى كيف كانت العلاقات في ظل هذه الظروف في مختلف الميادين السابقة الذكر؟

المبحث الأول: العلاقات الاقتصادية مع السعديين

إن المعلومات حول الميدان الاقتصادي تكاد تكون شبه منعدمة في المصادر التي بين أيدينا، إلا أن ذلك لا يعني غياب علاقات اقتصادية بين الجزائر والمغرب السعدي وربما أهم مظهر من مظاهر هذه العلاقات تمثل في التجارة بين البلدين.

المطلب الأول: مظاهر التبادل التجاري

لم تكن العلاقات التجارية بين الجزائر والمغرب متعددة ومتنوعة بالحجم الذي كانت عليه مع الدول الأوربية، فجل التجارة الجزائرية المغربية كانت تتم عبر الموانئ، وذلك لقرب المسافة بينهما، حيث كانت مراكب الجزائر دائمة التردد على موانئها لاسيما مرسى بادس وذلك في عهد السلطان عبد الله الغالب السعدي[1]، كما أن جانبا آخر من التجارة تكفلت به القوافل التجارية التي كانت تمر عبر طرق معينة من المغرب إلى الجزائر[2] أو العكس محملة بالمنتجات والسلع المتنوعة من الهند وإسطنبول وإسبانيا.[3]

[1]–محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتح: إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، ط1، 2005، ج2، ص123.

[2]–عمار بن خروف، المرجع السابق، ص310.

[3] –Don Diego De Haedo،topographie et Histoire Générale D'Alger،tr par Montereau et،A Berbrugger،Revue Africaine،Alger،n=85،1871،p55 .

ومع ذلك فإن حجم المبادلات التجارية كان لا يقارن بما يتم تبادله مع الدول الأوربية[1]، باستثناء بعض المدن مثل تلمسان ووهران لقربهما من الحدود كما أن منطقة توات في الصحراء الجزائرية كانت تعتبر أهم المراكز التجارية لجميع دول المغرب والسودان[2].

كما كان لتجار بني مزاب وورقلة وبسكرة وقسنطينة الدور الفاعل والمهم في التجارة مع المغرب، فسلعهم غالبا ما تتجه إلى فاس ومكناس وتيطوان حاملين معهم الحرير المنسوج والفضة والخردوات وأدوات الزينة ويجلبون من سجلماسة المواد الجلدية والخيول وغالبا ما كانت تتغير طرق القوافل بحسب الظروف.[3]

1-طرق المواصلات بين البلدين:

تعتبر الطرق التجارية حلقة وصل بين المراكز التجارية وركيزة أساسية في اقامة دعائم التجارة وتنشيطها.

بالنسبة لطرق الاتصال بين الجزائر والمغرب فانه كانت توجد ثلاث طرق رئيسية اثنتان بريتان والثالثة بحرية. فالطريق البحري كما وصفه التمجروتي في كتابه النفحة المسكية في السفارة التركية عند قيامه بسفارة إلى إسطنبول سنة 1589م، حيث يكون الانطلاق من تطوان شمال المغرب ثم الوصول إلى ترغا، ثم حجر بادس ثم جزر ملوية وبعدها هنين في تلمسان ثم وهران ومستغانم وتنس وشرشال ثم مدينة الجزائر ثم دلس فبجاية ثم جيجل فالقل فعنابة ومنها إلى بنزرت أولى المراسي التونسية.[4]

حيث كانت هذه الموانئ عبارة عن محطات استراحة وتزود بالمؤونة سواء للمسافر أو التاجر.

---

[1]-للمزيد ينظر الفصل الأول وهايدو، المصدر السابق، ص55.

[2]-محد العربي الزبيري : التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر،1972، ص104.

[3]-محمد العربي الزبيري، المرجع نفسه، ص105.

[4]- علي بن محمد التمجروتي: النفحة المسكية في السفارة التركية، تق وتح، عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الفلكية، د ط، الرباط،2002م،ص ص27-40.

أما الطريقان البريان فهما كالتالي: حيث الأول يربط بين المدن الداخلية وبعض المدن الساحلية وكانت أولى محطاته تبدأ من فاس إلى تازة، فوجدة المغربية ثم تلمسان فمعسكر فمازونة، فالجزائر ثم إلى بجاية فقسنطينة فعنابة، وأخيرا إلى تونس، وهذا الطريق سلكه الوزان في رحلته نحو المشرق سنة 921هـ/1515م[1]، والذي تسلكه أيضا قافلة سلا التجارية.

والطريق الثاني جنوبي وأهم محطاته تافيلالت ثم سجلماسة ثم بوسمغون جنوب الجزائر، فالغاسول ثم عين ماضي فالأغواط، فبرج الغيران، فسيدي خالد، فبسكرة ثم سيدي عقبة، فتوزر جنوب تونس[2]، وهذا الطريق كانت تسلكه قافلة الحج المغربية، حيث كانت قوافل الحجيج تتضمن تجارا وحتى الحجاج أنفسهم كانوا يتاجرون بمختلف البضائع وعادة ما تعرج القوافل نحو منطقة توات، مثلما يحدث بذلك العياشي في رحلته حيث كان واحدا من الحجاج سنة1661م، وذلك لأن الذهب فيها أرخص وكذلك التمر والزرع وهذه البلدة تعد ملتقى القادمين من أطراف السودان، حيث تتم فيها مبادلة البضائع، ثم يعرجون إلى ورقلة ومنها إلى تونس.[3]

وهذه الطرق التجارية عندما لا يتوفر الأمن فيها فإنها تصبح صعبة على الحجاج أو التجار، لذلك عمل ملوك تلمسان على توفير الأمن عن طريق دفع اتاوات لبعض الأعراب من أجل تأمين الطرق التجارية وتهدئتهم وكف أيديهم، لكن كان إرضاؤهم جميعا مستحيلا ومع ذلك كانت السلع والبضائع متوفرة حسب الوزان لاسيما في تلمسان "وقلما توجد في البلاد سبل آمنة".[4]

---

[1]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 312.

[2]–مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط،1981، ص 25.

[3]–عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية (1661–1663)، تح وتق، سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ضبي، ط1، 2006، ص 76.

[4]– الحسن الوزان: المصدر السابق،ج2، ص ص8–9.

أما السـعديون فكان اهتمامهم بتأمين الطريق البري الشـمالي عن طريق إقامة الأبراج والحصـون، عبر المراحل التي تمر بها القوافل التجارية، كما تم تكليف قبائل المخزن بتأمين الأماكن التي لا تتواجد بها حاميات عسكرية.[1]

2-المواد التجارية المتبادلة:

لقد ذكرت لنا المصـادر المعاصـرة أن المبادلات التجارية بين الجزائر والمغرب كانت تشـمل عدة مواد وسـلع حيث، يذكر هايدو أن الجزائر كانت تصـدر إلى المغرب عن طريق البحر السيوف والخناجر والأقمشة الهندية والقسطنطينية.[2]

وعن طريق البرّ يتم تصدير الحرير المستورد من تونس والأقمشـة الصـوفية كالبرانس والحيّاك ودواب الركوب والماشية والتمر وغيرها.[3]

أما المغرب فكان يصدر للجزائر سلعاً متنوعةً تتمثل في: الصابون والعسل ونوعاً من التراب كان يسـتعمل في التنظيف يشـبه الصـابون، كذلك البضـائع النفيسـة ممثلة في الذهب والأحجار الكريمة، كذلك السـكر والجلود المدبوغة وسـجاد فاس بكميات كبيرة كذلك جلود الأغنام وبعض الخيول والسروج.[4]

بالإضـافة إلى البلغات المصـنوعة من الجلد والحياك الصـوفية والسـيوف والبنادق والحديد، والأنسـجة القطنية والخردوات والأمشـاط والشـواشـي والأقمشـة الحريرية وتبر الذهب والبخور وغيرها من السلع.[5]

المطلب الثاني: مراكز التبادل التجاري

مثلما ذكرنا سابقا أن طرق المواصلات لعبت دورا بارزا في تنشيط التجارة بين الجزائر والمغرب، سـواء عبر البر أو البحر فان محطات هذه الطرق لا يقل دورها عن الطرق البرية

---

[1]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 314.

[2]-Haedo :op,cit,p55.

[3]-عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 219.

[4]- F Elie de la Primaudoie :le commerce et la navigation de l'Algérie ,revue algérienne et coloniale ,1860,pp 100,191.

[5]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 320.

نفسها، إذ تعتبر كمراكز لتبادل البضائع وأهمها، سلا وتطوان والجزائر وتلمسان وقسنطينة وفاس وسجلماسة، وبسكرة وتقرت وورقلة وغيرها.

1-مدينة الجزائر:

تعد من أهم مراكز التبادل التجاري بين الجزائر والمغرب، وهي مدينة آهلة بالسكان وذات منعة وكثيرة الخصب[1]، كما وصفها التمجروتي ويصفها الوزان كذلك بأنها مدينة كبيرة فيها دور جميلة وأسواقها منظمة وأصحاب الحرف لهم أمكنتهم الخاصة بهم، كما يحيط بها عدد من البساتين الغنّاء[2].

زادت أهميتها بعد أن اتخذها العثمانيون عاصمة للإيالة حينها تفوقت على تلمسان وبجاية وقسنطينة، حيث يقول هايدو بأن التجار يشكلون الفئة الخامسة ضمن سكانها، وكثير من تجارها من الانكشارية أو البحارة كانوا يشتغلون بالتجارة لأنها أكثر سلمية وخالية من الأخطار، حيث يتاجرون بعدة سلع كالقمح والأرز والأبقار والجمال والأغنام، والزبدة والعسل ومختلف الفواكه ويعيدون بيعها إلى المسيحيين، كما يشترون من الأوربيين السلع القادمة من أوروبا ويعيدون بيعها في أسواق المدينة[3]، مثل الحديد والنحاس من فرنسا والأقمشة من إسبانيا والأخشاب والصابون من تونس وغيرها.

أ-مبادلات مدينة الجزائر مع تطوان:

مدينة تطوان تقع في شمال المغرب وتمثل أحد أهم المراكز التجارية بين الجزائر والمغرب، حيث منذ القرن السادس عشر أصبحت تربطها علاقات مع العثمانيين في الجزائر، حيث كانت سفنهم تتردد على موانئها.

ففي سنة 1531م اشترى خير الدين من هذه المدينة الحبوب لتغطية عجز أصاب مدينة الجزائر، كما أن التجار الجزائريين غالبا ما كانوا يترددون عليها بعد احتلال المدن الساحلية من طرف البرتغاليين، كسبتة وطنجة ومليلية، وبالتالي استطاع المغاربة بيع منتوجاتهم من

---

[1]- التمجروتي: المصدر السابق، ص 30.

[2]- الحسن الوزان: المصدر السابق،ج2،ص 37.

[3]- Haedo :op,cit,1870,p89.

عسل وسكر وصابون، كما اعتبر ميناء تطوان محطة هامة لقراصنة الجزائر للتزود بالمؤن لغرض الغزو.[1]

ب-المبادلات مع سلا:

لقد كانت مدينة سلا في أواسط القرن الثاني عشر ميلادي مدينة حسنة وحصينة وهي مطلة على البحر وأسواقها عامرة والتجارة فيها رائجة لاسيما مع أهل الأندلس فشكلت بذلك مركزا اقتصاديا هاما بعد فاس ومراكش.[2]

حيث غدت في أواسط القرن السادس عشر ميلادي المرسى الرئيسي للمغرب وأهم مركز تجاري على ساحل المغرب بالنسبة لتجار البحر المتوسط، وبعد استقرار الأندلسيين فيها بعد طردهم النهائي من الأندلس، اشتغلوا بالجهاد البحري، فكانوا يبيعون مغانمهم في الجزائر، وفي عهد الدلائيين أقامت مدينة سلا تجارة نشطة مع الجزائر، فكثرت حركة السفن التجارية المتجهة إلى الجزائر والعائدة منها بأصناف السلع، مما عاد بأرباحٍ على المدينة.[3]

ج-المبادلات مع فاس:

تعتبر فاس حاضرة ملك منذ عهد الأدارسة وحتى في عهد المرينيين والوطاسيين، لم تفقد بريقها حتى في عهد السعديين، فكانت تربطها علاقات تجارية مع الجزائر، فيتم تبادل أصناف السلع كما ذكرنا سابقا على لسان هايدو من سيوف وخناجر وأقمشة هندية وقسطنطينية، يصدرها تجار الجزائر إلى فاس[4]، كما كان تجار الجزائر من اليهود غالبا ما يرافقون تجارتهم إلى فاس.[5]

---

[1]- مارمول: المصدر السابق،ج2، ص223.

[2]- كينيث براون: المرجع السابق، ص ص 35-36.

[3]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 327.

[4]- Haedo :op,cit, n85, p55.

[5]-Haedo :idfm,n86,p 91.

2-مدينة تلمسان:

لقد ظلت مدينة تلمسان حاضرة ملك بني زيان لمدة ثلاثمائة سنين إلى أن أفل نجمها بزوال ملكهم على يد العثمانيين لتبدأ عهدا جديدا معهم.

فكان أهلها يشتغلون بالتجارة مثلما يصف ذلك الحسن الوزان "وقد كانت التجارة رائجة بها لاسيما مع بلاد السودان"[1]، كما كانت تربطها علاقات مع فاس وسجلماسة ودرعة وفقّيق، فكان لتجار تلمسان تجارة قوية في تازة، التي تقع على الطريق الرئيسي بين تلمسان وفاس، كما كانت تلمسان لها واردات من فقّيق متمثلة في المنتوجات الصوفية[2]، وتستورد من سجلماسة ودرعة الجلود والنيلة[3] التي تحتاجها للصناعة.

وموقع تلمسان الهام جعل منها منطقة عبور تفد عليها قوافل التجارة والحجيج الذاهبة من المغرب إلى الشرق والعائدة منه، فيتم تبادل البضائع فيها، وتتزود القوافل بما يلزمها لسفرها مما أهلها لتكون محطة هامة من محطات التبادل التجاري بين الجزائر والمغرب، أو بلاد السودان.

وباحتلال الإسبان لمنافذها البحرية فقدت قوتها الاقتصادية وكذلك لأطماع السعديين فيها[4]، كما كانت واحات بسكرة وتقرت والأغواط وورقلة وتوات وتيجورارين من بين أهم المراكز التجارية، فكانت تيجورارين غنية لتعاملها مع بلاد السودان كما تعتبر ملتقى القوافل وتجمع التجار.[5]

وهكذا فإن العلاقات الاقتصادية بين الجزائر والمغرب لم تتأثر بالاضطرابات السياسية وبقيت متواصلة، إلا أنها لم تتمكن من الازدهار والنمو مما يعود على البلدين بالفائدة.

---

[1]- الحسن الوزان: المصدر السابق،ج2، ص21.

[2]- الحسن الوزان: المصدر نفسه، ص ص120-132.

[3]- **النيلة:** نوع من النبات يستعمل للصباغة، ينظر الحسن الوزان، المصدر نفسه، ج2، ص 120.

[4]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 329

[5]- الحسن الوزان: المصدر السابق،ج2، ص 133

المبحث الثاني: مظاهر العلاقات الاجتماعية

إن الجزائر والمغرب تربطهما صلات اجتماعية راسخة منذ القدم، وليست وليدة اليوم فلم تتأثر يوما من الأيام بالسياسة أو غيرها.

المطلب الأول: الروابط العرقية والمصاهرات

إن أصل سكان البلدان المغاربية واحد، وهم الأمازيغ وينقسمون إلى خمسة شعوب كبيرة، **هم صنهاجة ومصمودة وزناتة وهوارة وغمارة.**

كانوا منتشرين على كامل البلدان المغاربية[1]، فحتى عند قدوم الرومان لم يستطيعوا الذوبان في حضارتهم بل العكس العنصر الروماني هو الذي اندمج مع السكان الاصليين بطول الوقت وكذلك الأمر بالنسبة للوندال والبيزنطيين لقلة عددهم لم يؤثروا كثيرا في البربر لكن لما جاء الإسلام دخل البربر فيه لسماحته وصدق رسالته، فامتزج عرب الفتح بالبربر وقد فسدت لغتهم فأصبح الشعبان شعبا واحدا[2]، إلى أن قدم عرب بني هلال بأعداد كبيرة وبمرور الوقت اندمجوا مع السكان الأصليين، وبالتالي فان السكان في الجزائر والمغرب أصلهم واحد وينتمون إلى نفس القبائل.

وباعتبار أن الأصل كان واحدا فهذا لم يمنع تمتين هذه الروابط عن طريق المصاهرات، والتي تنوعت وأخذت عدة أشكال، فكانت مصاهرات ذو طابع سياسي وأخرى غير ذلك.

فالبنسبة للمصاهرات الخالية من الأطماع السياسية، نذكر مثلا زواج الطالب الجزائري مهدي عيسى الثعالبي من ابنة أستاذه علي بن عبد الواحد السجلماسي المغربي الذي قدم من المغرب إلى الجزائر مع أسرته وأقام فيها، وذلك حوالي النصف من القرن السادس عشر ميلادي، وتصدر للتدريس فيها وهناك تعرف على تلميذه ونشأت بينهما علاقات تطورت إلى المصاهرة[3].

---

[1]–الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 36.

[2]–الحسن الوزان: المصدر نفسه: ص 41.

[3]– العياشي: المصدر السابق،ج2، ص127.

أما فيما يتعلق بالزواج ذو الأطماع السياسية فنذكر زواج بغض الأمراء الوطاسيين والسعديين من بنات حكام الجزائر لاسيما بعد لجوء اولئك الأمراء إلى الجزائر[1]، في الظروف التي تعرضنا إليها سابقا مثل:

أ- الأمير الوطاسي أبي بكر بن السلطان أحمد الوطاسي الذي زوجه صالح رايس ابنته وحاول تنصيبه على عرش فاس، لكن المغاربة رفضوا ذلك ونصبوا أبا حسون، الذي كان استعان به في الرجوع إلى فاس[2].

ب- عبد المؤمن بن محمد الشيخ السعدي الذي تزوج ابنة حسن بن خير الدين ونال عنده مكانة كبيرة وجعله على ولاية تلمسان حتى تم اغتياله.[3]

ت- عبد الملك بن محمد الشيخ السعدي الذي تزوج من ابنة حاجي مراد الذي كان أحد الوجوه السياسية المرموقة، وذلك في النصف الثاني من القرن السادس عشر.

وعليه نرى أن هذه المصاهرات التي تمت بين البلدين لاشك أنها ساهمت في تمتين روابط الأخوة بين الشعبين ورسختها، وعندما تكون المصاهرات خالية من الأهداف السياسية فإن آثارها أعمق وفائدتها أعم على الشعبين.

-الهجرة والاستقرار:

لقد شكلت هجرة الأشخاص بين الجزائر والمغرب مظهرا من مظاهر العلاقات الاجتماعية، فكانت منها الهجرة القسرية أو الطوعية.

أما فيما يخص الأولى فعندما خضع المغرب لسلطة السعديين وإنهاء حكم بني وطاس، قابله في الجزائر دخول العثمانيين وإقامة نظام جديد هذا ما خلف تنافس بين الجارتين مثلما سبق ذكره، هذا ما أدى إلى هجرة للأفراد والجماعات من مختلف فئات المجتمع، فالمؤرخ المجهول صاحب كتاب تاريخ الدولة السعدية يقدم لنا صورة عن ذلك حيث يذكر أن الشيخ السعدي لما دخل إلى فاس للمرة الثانية في 1554م بعد قتله لأبي حسون

---

[1]- ينظر فصل العلاقات السياسية.

[2]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 364.

[3]-Chantal de la veronne :op.cit, p 392.

الوطاسي واستقراره فيها "وفي هذه الدخلة الثانية تحكم في أهل فاس وأدى حسائفه وقهر أهلها ونفى أكثرهم للجبال والمشرق"[1]، وذلك انتقاما منهم لمشايعتهم لأبي حسون.

كما هاجر إلى الجزائر ولجأ الهيا شـيوخ فاس ومكناس وقادة نواحي الغرب في مملكة فاس كما هاجر أتباع الأمراء السـعديين الثلاثة بعدما تولى أخوهم الحكم، وهم عبد الملك وأحمد وعبد المؤمن أبناء الشيخ.[2]

ومن الجزائر هاجر الأمير الزياني أحمد ووزيره المنصـور وأشـياعهما بعد دخول العثمانيين تلمسـان سـنة 1554م كما حصـلت هجرة علماء تلمسـان إلى فاس وذلك بعدما وقعت فتنة في تلمسـان بينهم وبين أتراك الجزائر العثمانيين وذلك سـنة 1560م ومن بين العلماء المهاجرين أبو العباس أحمد بن أحمد العبادي الذي وصـفه ابن عسكر بالشيخ الفقيه العالم العلامة، وأبو عبد الله محمد بن هبة الله المعروف بالسـيد شـقرون، وأبو العباس أحمد بن محمد العقباني وغيرهم[3]، كما هاجرت قبائل من عرب الشـراقة الذين كانوا مسـتوطنين في تلمسان ووجدة إلى المغرب هربا من سلطة العثمانيين عليهم ومن دفع الضرائب.[4]

كما هرب بوطريق إلى المغرب بعد فشل ثورته على العثمانيين، حيث تم استقباله من قبل سلاطين المغرب ومكث عندهم سنين عديدة، حتى عودته مع حملة أبناء الذيخ السعدي في منتصف القرن السادس عشر.[5]

أما فيما يخص الهجرة الطوعية فتمثلت في هجرة طلبة العلم من كلا البلدين، فهاجر من المغرب إلى الجزائر محمد بن أحمد اليسيثني الفاسي، حيث رحل إلى تلمسان وتعلم فيها عن كبار مشـايخها، مثل أبي عبد الله محمد بن موسـى الوجديجي مفتي تلمسـان وغيره ثم

---

[1]–مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 27.

[2]–عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 349.

[3]–محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط1، 1977، ص 118.

[4]–محد الصغير الإفراني: المصدر السابق، ص 174.

[5]–Haedo :op.cit, p 71.

انتقل إلى قسـنطينة وتعلم عن عالمها الكبير أبي حفص عمر الأنصـاري المعروف بالوزّان وأبي عبد الله محمد العطار.[1]

ومن الجزائر إلى المغرب هاجر سعيد المقري الذي انتقل إلى فاس في النصف الأول من القرن السـادس عشـر، وتعلم فيها على يد عبد الواحد الونشـريسـي وعلي بن هارون المطغري، وكلاهما من أصـل جزائري، كما أخذ عن أبي محمد عبد الوهاب الزقّاق[2]، كذلك من العلماء المهاجرين إلى المغرب نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

محمد بن عبد الرحمان بن جلال وأحمد بن محمد العبادي التلمسـاني ومن علماء المغرب الذين انتقلوا إلى الجزائر كذلك دون حصر لهم نجد محمد السوسي الفاسي وعيسى أبو سعيد الهنتاتي وأحمد الفاسي وعلي بن واحد الأنصاري السجلماسي[3].

المبحث الثالث: مظاهر العلاقات الثقافية

لقد سـاهم انتقال العلماء المغاربة فيما بين القطرين إلى تنشـيط الحياة الثقافية والفكرية سـواء في الجزائر أو المغرب، وإعمار مراكز ثقافية كثيرة وربما كان علماء الجزائر لهم حظ

[1]– ابن عسكر: المصدر السابق، ص 9.

[2]– ابن عسكر : المصدر نفسه، ص 43 .

[3]–ابن عسكر: المصدر نفسه، ص ص119–123.

وافر من تنشـــيط الحياة الثقافية في المغرب، وذلك لتواجدهم بكثرة في جميع المراكز الثقافية حيث يتصدرون المجالس.

كما كان كذلك للمغاربة إســـهام كبير في الجزائر بعد هجرتهم إليها مثل تلمســـان وقســنطينة والجزائر، فنال هؤلاء العلماء ســواء في الجزائر أو المغرب مكانة مرموقة واحترام كبير، نظير مجهوداتهم العلمية.[1]

المطلب الأول: التقارب الفكري بين علماء البلدين من خلال هجراتهم

إن كتب الســير والتراجم تذكر كثيرا من جوانب التقارب الفكري الحاصــل بين علماء الجزائر والمغرب من خلال هجراتهم إلى أهم مراكز الفكر والثقافة وإعمارها وتنشـــيطها من خلال دروســـهم، وتصـــدرهم لمجالس التدريس خاصـــة بجامع القرويين بفاس، كما كان التلمســانيون يرحلون إلى فاس لطلب العلم كذلك المغاربة رحلوا إلى الشــرق وبالضــبط إلى تلمسان وعدة مدن جزائرية للأخذ ونيل الإجازات العلمية من علماء تلمسان.[2]

فمن علماء المغرب الذين وفدوا إلى الجزائر على سبيل المثال لا الحصر:

1-**محمد بن علي الحاج الشـــطيبي:** هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأندلسي المعروف بالحاج الشطيبي، رحل إلى الجزائر ولقي بها مشايخ عدة وأخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن يوســف الملياني، من تآليفه كتاب " **اللباب على آية الكتاب**" و" **شــرح المباحث الأصلية لابن البناء السرقسطي**" عاد إلى المغرب وتفي سنة960هـ/ 1553م.

2-عبد الله الورياجلي: هو أبو محمد عبد الله الورياجلي من أبرز العلماء الذين يؤخذ عنهم العلم الشـرعي، أخذ العلم عن الإمام القوري والعبدوسـي، رحل إلى تلمسـان للأخذ عن الإمام ابن مرزوق شارح **البردة** وشارح **مختصر خليل**، وكان يشد الرحال إلى العلماء أينما كانوا، ثم رجع بعدها إلى المغرب فلزم الجهاد واشتغل بالتدريس والإفتاء في أمور الدين.[3]

---

[1]-عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 366.

[2] - ابن عسكر: المصدر السابق، ص 2.

[1]-ابن عسكر: المصدر السابق، ص ص16،30.

3-عبد الله الخياط الزرهوني: هو أبو محمد عبد الله الخياط نزيل جبل زرهون كان صـــوفيا تعلم عن الشيخ أبي العباس أحمد المليانى، وتوفي بزاويته من جبل زرهون.[1]

4-أحمد زروق البرنسـي الفاسـي: توجه إلى المشـرق حتى وصـل إلى الديار المصـرية، ثم رجع إلى فاس.

5-أحمد تاخريسـان الراشـدي: هو الإمام أبو العباس احمد المعروف بتاخريسـان كان عالما كبيرا وفد على تلمســان، وكان عالي القدر فيها، فمن إجلال الفقهاء له انهم لا يدرســون في مجالسهم مادام هو بين أظهرهم، وذلك رغبة منهم في اخذ العلم عنه لغزارة علمه وتفقهه[2].

أما علماء الجزائر الذين شدّوا الرحال إلى حواضـر المغرب وكان لهم شأن في تنشيط الحياة الفكرية والثقافية، نذكر البعض منهم دون الحصر:

1-أحمد بن أحمد العبادي: هو الفقيه العالم أبو العباس أحمد بن أحمد العبادي التلمســاني كان غزير العلم حيث لقي المشـايخ وأخذ عنهم، كما تفقه على والده وفد على تلمسـان سـنة 968هـ/1561م وذلك بعد وقوع فتنة بين أتراك الجزائر وفقهاء تلمســان، حيث اشــتغل بالتدريس، ثم انتقل بعدها إلى مراكش ثم عاد إلى تلمسان استقر بمليانة.[3]

2-محمد شـقرون بن محمد المغراوي الوهراني: هو الفقيه محمد شـقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني، المولود سـنة 929 هـ/1523م كان حافظا للحديث وفقيها من فقهاء المالكية، أخذ عن ابن غازية وغيره، وألف كتاب **الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين** وكتاب **تقييد على مورد الظمآن**[4]، قدم إلى فاس سنة 967هـ/1560م في عهد السـلطان الغالب ابن محمد الشـيخ السـعدي، واشـتغل بالفتوى والتدريس بمراكش واشتهر بعلمه في سائر بلاد المغرب وأخذ على شيوخ تلمسان بالمغرب، وتوفي في فاس.[5]

---

[2]-المصدر نفسه، ص 83.

[3]-المصدر نفسه، ص ص48،129.

[4]-المصدر نفسه، ص ص118-49.

[1]-عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1980، ص 189.

[2]-ابن عسكر: المصدر السابق، ص .116.

3-محمد بن عبد الرحمان بن جلال: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن جلال المغراوي التلمساني المولود سنة 908هـ/1504م، رحل إلى فاس سنة 958هـ/1551م في عهد السلطان أبي عبد الله الشيخ، حيث قلده الفتوى والتدريس والخطبة بجامع الأندلس لمدة ثمان سنين ثم ثلاثة عشر سنة بجامع القرويين، فتهافت الناس عليه، حيث كان عالما بالمنطق والعقائد والبيان والفقه والحديث والتفسير[1].

4-أحمد شقرون بن أبي جمعة المغراوي: هو أبو العباس أحمد بن أبي جمعة المغراوي ثم الوهراني، لقب بشقرون لأنه أشقر اللون أحمر العينين، رحل إلى فاس ودرس بها وكان أبرز الفقهاء بها، وله مؤلف **جامع جوامع الاختصاص والبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان**، توفي في العشرة الثالثة.[2]

5-محمد الخروبي السفاقسي: هو محمد بن علي الخروبي الطرابلسي أو السفاقسي الجزائري، كان فقيه الجزائر في عصره من قرى طرابلس الغرب ونشأ بالجزائر وولي الخطبة بها وفي سنة 959هـ/1552م رحل إلى المغرب حيث أوفده السلطان العثماني سفيرا له عند أبي عبد الله المهدي، زار فاس ومراكش وله عدة مؤلفات منها **رسالة ذوي الافلاس إلى خواص أهل فاس وشرح صلاة ابن مشيش، والأنس في التنبيه عن *عيوب النفس* وتفسير القرآن**، كما التقى علماء المغرب وأخذ عنهم، وكان وروده على فاس أيام السلطان أبي عبد الله محمد سنة 959هـ/1552م، وكان ذو شان فعلماء المغرب يجلونه توفي سنة 963هـ/1556م بالجزائر.[3]

المطلب الثاني: أهم الحواضر العلمية والثقافية

تكلمنا سابقا عن أن العلماء في الجزائر والمغرب كان لهم الفضل الكبير في تنشيط الحركة العلمية، والثقافية في حواضر العلم وإعمارها وجعلها قلاعا تشع نورا، حيث نالوا

---

[3]-مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009، ص 225.

[4]-ابن عسكر: المصدر السابق، ص 125.

[1]-ابن عسكر: المصدر السابق، ص126

شـرف تفقيه الناس وإعلاء راية الإسـلام، فكان من أبرز هذه الحواضـر مدينة فاس ومراكش في المغرب وتلمسان ومدينة الجزائر.

1-مدينة تلمسان:

لقد كانت أهم الحواضــر العلمية في الجزائر لفترة من الزمن، قبل أن تضــطرب فيها الأوضـاع السياسـية في النصـف الأول من القرن السـادس عشـر إلى غاية سـقوطها على يد العثمانيين، وبالتالي أصبحت مدينة الجزائر تحتل الصدارة لكونها أصبحت العاصمة، فهجرها الكثير من علمائها إلى المغرب.

فقبل أن تؤول تلمسـان إلى ما آلت إليه فإنها كانت مقصـد الكثير من العلماء المغاربة وطلبة العلم فأبرزهم أبو عبد الله محمد بن أحمد اليسّيثني المتوفي سنة 959هـ/1552م، فقد جاء لتلمســـان للأخذ عن علمائها، كما انتقل إلى للأخذ عن الآخرين في مدينـة الجزائر وقسنطينة ثم رجع إلى فاس حيث اشتغل بالتدريس كما تولى الخطابة والإفتاء.[1]

كما أن الجامع الأعظم بتلمســـان كان منارة علمية، درّس بها كبار العلماء أمثال ابن مرزوق الذي درّس الفقه المالكي والعلوم العامة، كما حضـــي العلماء بمكانة مرموقة فكان السلطان يستشيرهم، ويجل قدرهم ويرفع من مكانتهم.

لكن تلمسـان في الفترة موضـوع الدرس فقدت الكثير من بريقها الحضـاري وإشـعاعها الفكري، فقلّ الوافدون إليها وكثر المهاجرون منها إلى المغرب.

2-الجزائر:

لم يكن لمدينة الجزائر قبل الوجود العثماني كبير شـــأن في الحياة الثقافية إلا أنه بعد اتخاذها كعاصـمة لإيالة الجوائر العثمانية منذ سـنة 1519م حتى غدت تنافس تلمسـان بل تفوقت عليها فقصـــدها التجار والعلماء، كل حســـب غايته فمن بين مثقفي المغرب الذين قصـــدوها في الفترة المدروســة نجد الحســن الوزان الذي دخلها قبل أن تصــبح تحت الحكم

[2]-عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 390

العثماني بقليل، كذلك عبد الواحد بن محمد المكناسي حيث هاجر إلى الجزائر واستقر بها إلى أن مات في سنة 1580م، وكان فقيها نحويا[1] وغيره من العلماء الذين قصدوا الجزائر.

3-مدينة فاس:

كانت فاس منذ تأسيسها على يد إدريس الثاني سنة 192هـ/808م[2] عاصمة ملك الأدارسة ومركز إشعاع ثقافي وجذب للعنصر الأندلسي منذ البداية فتوفرت على ميزتين هامتين هما النشاط الاقتصادي والفكري، وبالتالي لم تتأثر في يوم من الأيام بمجريات السياسة حتى وإن تحولت دار الملك عنها في عهد المرابطين أو الموحدين[3]، وبقيت محافظة على نشاطها وتنموا شيئا فشيئا حتى بلغت الذروة في عهد المرينيين وخلفائهم الوطاسيين، فأصبحت قبلة العلماء وطلاب العلم من كل حدب وصوب، لاسيما من تلمسان وغرب الجزائر عامة[4] فحسب الوزان كان يوجد بفاس قرابة ستمائة جامع أو مسجد منها خمسون كبيرة أهمها جامع القرويين واحدى عشر معهدا أو مدرسة عدا المدارس المخصصة للأطفال التي كان يوجد بها قرابة مائتين مدرسة[5].

وبالتالي فإن فاس كانت إحدى أهم مراكز التبادل الثقافي بين الجزائر والمغرب في الفترة التي ندرسها حيث قصدها كثير من علماء وطلبة الجزائر. كما جاء من فاس عديد الطلبة والعلماء إلى الجزائر، سواء لاستكمال الدراسة أو للمساهمة في نشر العلم، وهذا ما يدل على نشاط الحركة الثقافية بين البلدين، ونتيجة نزوح العلماء الجزائريين إلى فاس واستقرار البعض منهم جعل المراكز التي هاجروا منها شبه خالية هذا ما جعل مكانة تلمسان تتقهقر وتترك المكان إلى مدينة الجزائر الناشئة في ظل العثمانيين[6].

---

[1]-عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 391.

[2]-محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي: المصدر السابق، ج1، ص122.

[3]-إبراهيم حركات: مميزات الحياة الثقافية والفكرية خلال العصر السعدي 905 -1069هـ/1505-1653 م، مجلة المؤرخ العربي، الإمارات العربية المتحدة، ع36، 1988، ص 24.

[4]-عمار بن خروف : المرجع السابق، ص 377.

[5]-الحسن الوزان : المصدر السابق، ج 1، ص 183.

[1]-عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 379.

ونظرا لهذه الفسيفساء المتداخلة والمتجانسة ثقافيا في مدينة فاس التي شكلها علماء البلدين جعلها كانت إشعاع ثقافي على الصعيد القومي وليس الجهوي، وذلك لكثرة عدد الكراسي العلمية المخصصة لمختلف فروع المعرفة، كما كانت مركزا للدراسات الفقهية ودراسة الأصول[1].

4-مدينة مراكش:

لقد انتعشت مراكش بعد أن كادت أن تصير خرابا في مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي[2]، وشهدت ازدهارا في الحياة الثقافية في العهد السعدي لأنها أصبحت عاصمة لملكهم ولقربها كذلك من مناطق جزولة، التي زودت الدولة السعدية بكثير من إطاراتها المثقفة، وهكذا نلاحظ أن مراكش عادت مرة أخرى للحياة بعد غيابها الطويل عن النشاط الفكري، منذ القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، فاسترجعت مجدها العلمي واستقبلت الكثير من علماء أقطار المغرب والسودان، أمثال محمد هبة الله الوهراني العالم في علوم الشريعة من الجزائر[3] وكذلك العلماء الذين نزحوا من فاس فقصدوا مساجدها ومدارسها الكثيرة وتصدروا للقضاء فيها.

وأهمها جامع الشرفاء والمدرسة المجاورة[4]، فمن بين المثقفين الجزائريين الذين وفدوا على مراكش عاصمة السعديين نذكر على سبيل المثال لا الحصر محمد ابن علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر الذي ذهب إلى مراكش سنة 959هـ/1552م سفيرا من قبل السلطان العثماني إلى السلطان السعدي محمد الشيخ بشأن إقامة السلام بين الطرفين وتحديد الحدود بين الجزائر والمغرب وكانت له سفارة أخرى سنة 1554م وأخذ عن الخروبي الكثير علماء المغرب وطلبته فكان يجمع بين العلم والتصوف، توفي سنة 963هـ/1556م بالجزائر.[5]

---

[2]-إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 24.

[3]- الحسن الوزان: المصدر السابق،ج1، ص 129.

[4]-إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص22-23.

[5]-مارمول كربخال: المصدر السابق،ج2، ص 59.

[1]-ابن عسكر: المصدر السابق، ص 127.

كذلك أبو الطيب البسكري الذي ذهب إلى مراكش في سنة 987هـ/1579م سفيرا من قبل السلطان العثماني لتقديم التهنئة للمنصور عقب انتصاره في معركة وادي المخازن والجلوس على كرسي الملك، وكان أبو الطيب البسكري من علماء الجزائر البارزين حيث وصفه الفشتالي بـ "**الشيخ العالم، الصدر الكبير، الخطيب الشهير**"، كما ذكر أنه كان مفتي الجزائر لكنه لم يوضح لنا نشاطه الفكري خارج المهمة الرسمية التي جاء من أجلها وذلك ربما يعود لقصر مدة إقامته في مراكش.[1]

وهكذا بالرغم من العدد الكبير من العلماء الجزائريين الذين قصدوا مراكش فإن هذه الأخيرة بقيت في المرتبة الثانية من حيث إقبال الجزائريين عليها، لأن عدد الذين قصدوا فاس أكبر من أولئك الذين قصدوا مراكش، كذلك في هذه الفترة لم يخرج علماء البلدين عن التقليد لمن سبقهم حيث قل الاجتهاد.

[2]–عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص 50.

خاتمـــــــة

خاتمة

لقد حاولنا من خلال عملنا المتواضع هذا، أن نتتبع أهم المحطات في تاريخ العلاقات الجزائرية والمغربية خلال عهد الدولة السعدية، وكيف كانت العلاقات بينهما في مختلف الميادين، سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، ومنها خرجنا بعدة استنتاجات منها:

- لقد ساهم الانقسام الداخلي في الأسرة الزيانية، وصراعها الخارجي في إضعاف سلطتها المركزية، مما أدى إلى فقدان السيطرة على ما تملكه الشيء الذي سهل على الاسبان الاستيلاء على سواحل الجزائر، كذلك الشأن بالنسبة للمغرب فتدهور أوضاع الوطاسيين، جعل البرتغاليين يستولون على جلّ سواحله، فبرز على الساحتين الجزائرية والمغربية قوتان جهاديتان تمثلت الأولى في الاخوة بربروس والثانية في الاشراف السعديين الذين استطاعا تحرير السواحل وحفظ استقلال المغرب.
- لقد كان لتردي الأوضاع السياسية في كلا البلدين انعكاسات شملت الحالة الاجتماعية والثقافية مما ترتب عنه انتشار الامراض وانخفاض لمستوى المعيشة وجمود فكري، اقتصر على التقليد دون الإتيان بالجديد أو اعتماد الاجتهاد.
- بوصول العثمانيين للجزائر واعتلاء السعديين للعرش المغربي أصبح هناك تنافس بينهما سادت خلاله علاقات تأرجحت بين السلم والحرب، حيث عمل العثمانيون على توحيد كامل الاقطار المغاربية تحت سلطتهم باعتبار أن كل المسلمين بايعوهم بالخلافة، وكذلك الأمر للسعديين الذين كانوا يرون الاحقية لهم اعتمادا على نسبهم ومبايعة قبائل المغرب لهم بإمارة المؤمنين.
- رغم التوتر السياسي الذي ساد بين البلدين إلا أنه لم يؤثر على الجانب الاقتصادي كثيرا على العلاقات بين البلدين، وذلك بسبب الحرية في المعاملات التجارية، وحرية

التنقل عبر الطرق البحرية والبرية، دون قيود سـياسـية، كما أن حجم المبادلات التجارية بين الجزائر والمغرب لم ترقى إلى ما وصلت إليه مع أوربا.

- رغم التشـابه في الأصـول العرقية والموروث الثقافي والحضـاري والجوار إلا أنه لم يؤدي إلى بناء روابط قوية مبنية على الاخاء واسـتغلالها في تحسـين العلاقات لتكون أكثر فعالية.
- رغم ازدحام حواضـر البلدين بكم هائل من العلماء الذين شـهد لهم القاصـي والداني بنبوغهم في العلوم العقلية أو النقلية، وتشـجيع الحكام للمؤسـسـات العلمية، والاهتمام بها، إلا أن ذلك لم يسـاهم في تطوير الإنتاج الفكري الذي ظل يعتمد على النقل والتقليد، في غياب الاجتهاد والإبداع في العلوم العقلية.
- اما فيما يخص التبادل الفكري فإن فضـل تنشـيط وإعمار المراكز الثقافية والعلمية وبعث الروح فيها، إنما يرجع للعلماء الذين لم تكن تفرض عليهم قيود في التنقل لذلك جعلوا من هذه المراكز قلاعا للعلم ومنبرا لإعلاء كلمة الله، وتوثيق عرى العلاقات الثقافية.

الملاحق

الملحق رقم (01) : رسالة أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول[1]

[1]- عبد الجليل التميمي أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519، مستخرج من المجلة التاريخية المغربية، تونس ع6، 1976، ص 116.

الملحق رقم (02): خريطة تبين موقع حدوث معركة وادي المخازن، بين الجيش البرتغالي وحليفه المتوكل والجيش السعدي سنة 1578م[1].

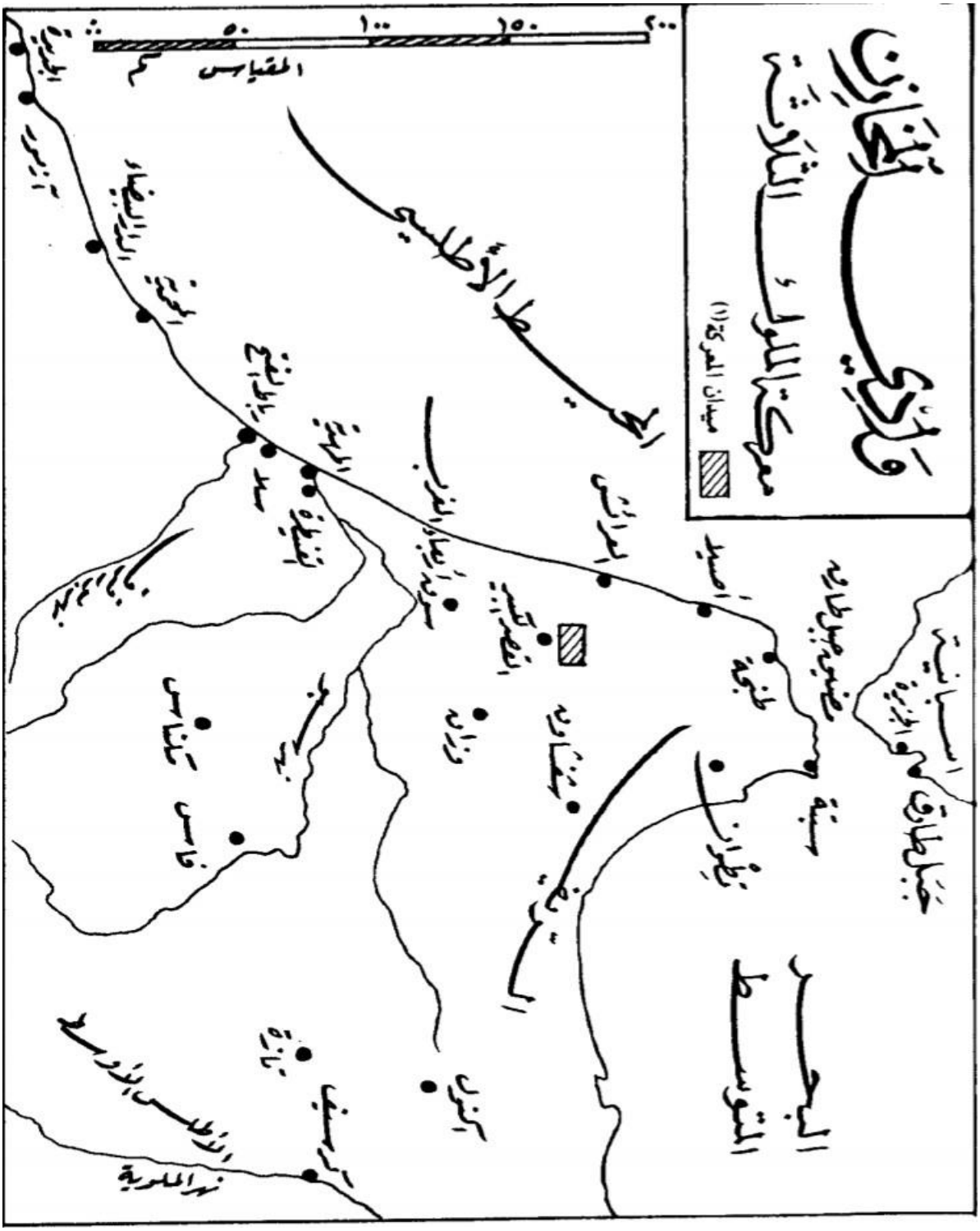

[1]- شوقي أبو خليل: معركة وادي المخازن–الملوك الثلاثة–القصر الكبير، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1988، ص59.

الملحق رقم (03): النص الأصلي للرسالة التي بعث بها رمضان باشا والي الجزائر إلى الأمير داود بن عبد المؤمن أثناء ثورته بسوس ضد عمه المنصور[1]

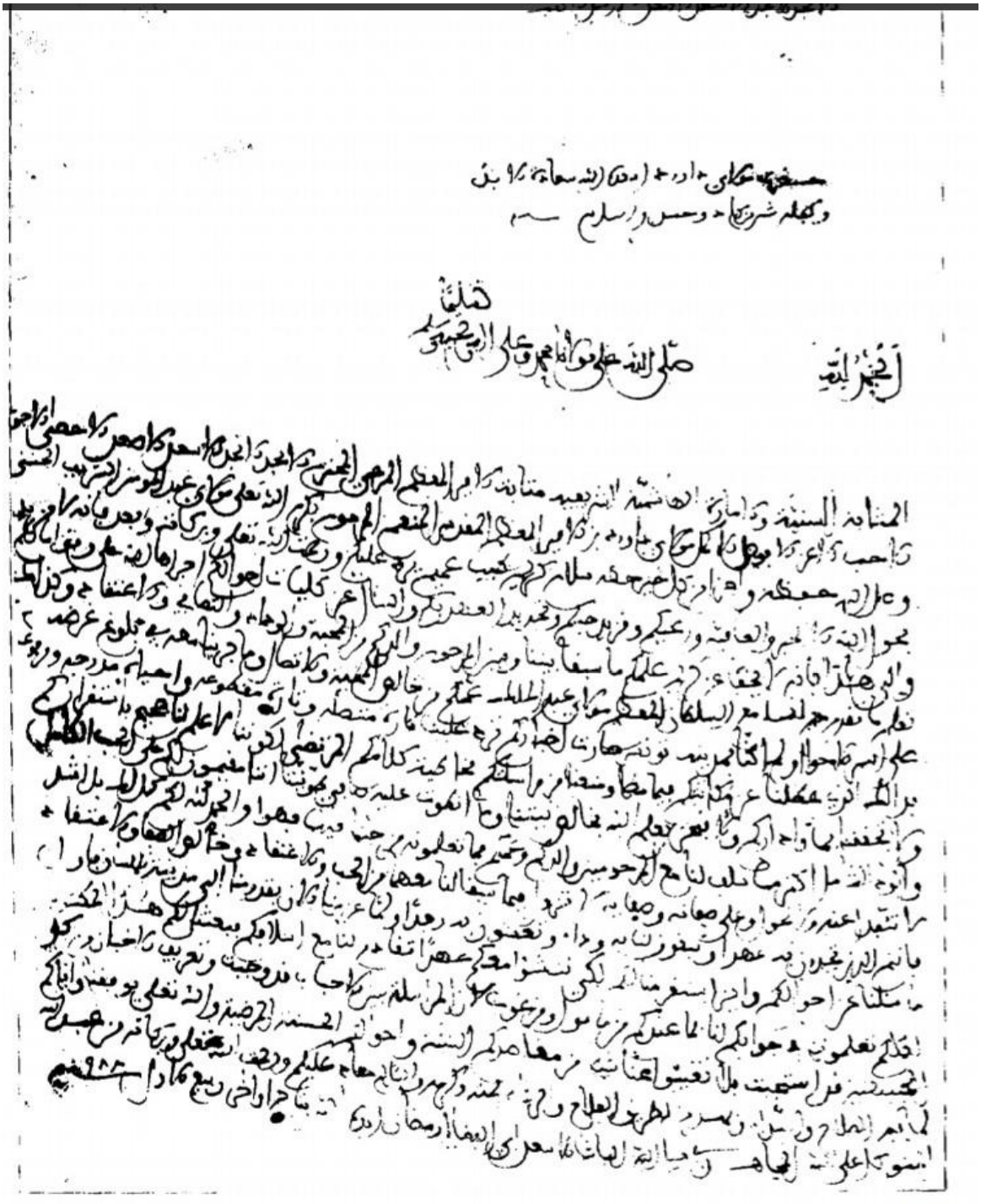

[1]- عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص352.

الملحق رقم (04): سلاطين الدولة السعدية الذين تولوا الحكم من 1509 إلى 1659م[1]

سلاطين الدولة السعدية

	الاسم	تاريخ التولية
1)	أبو عبد الله القائم بأمر الله	915 هـ/1509 م
2)	أبو العباس أحمد الأعرج (بويع في حياة أبيه)	923 ه / 1512 م
3)	أبو عبد الله الشيخ – المهدي -	946 ه / 1539 م
4)	أبو محمد عبد الله الغالب بالله	946 ه / 1539 م
5)	أبو عبد الله المتوكل على الله (المسلوخ).	965 ه / 1556 م.
6)	أبو مروان عبد الملك	981 ه / 1573 م
7)	أبو العباس أحمد المنصور – الذهبي -	986 ه / 1578 م.
8)	زيدان بن أحمد	1012 ه / 1603 م
9)	عبد الملك بن زيدان - أبو مروان	1037 ه /1627 م
10)	الوليد بن زيدان	1040 ه / 1630 م
11)	محمد بن زيدان	1045 ه / 1635 م
12)	أبو العباس أحمد	1063 ه / 1652 م

[1]- شوقي عطا الله الجمل المرجع السابق، ص464.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر:

أ-باللغة العربية:

1. الإفراني محمد الصـــغير: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تق وتح، عبد اللطيف الشاذلي، د ن، ط1، 1998
2. التمجروتي علي بن محمد: النفحة المسكية في السفارة التركية، تق وتح، عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الفلكية، د ط، الرباط،2002م،
3. الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط1، 1977.
4. العياشـــي عبد الله بن محمد: الرحلة العياشـــية (1661-1663)، تح وتق، ســـعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ضبي، ط1، 2006
5. الناصـري أبو العباس أحمد بن خالد: الاسـتقصـا لأخبار دول المغرب الأقصـى، تح وتق، جعفر الناصـري ومحمد الناصـري، دار الكتاب، الدار البيضـاء، دط، 1955، ج4، ج6.
6. الناصـري أبو العباس أحمد بن خالد: الاسـتقصـا لأخبار دول المغرب الأقصـى، تح وتع، جعفر الناصـري ومحمد الناصـري، دار الكتاب، الدار البيضـاء، ط3، 1997، ج5.
7. بربروس خير الدين: مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، شـركة الأصـالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010.
8. مؤلف مجهول: تاريخ الدولة الســـعدية التكمدارتية، تق وتح، عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، ط1 1994.

9. الوزان الحسن بن محمد الفاسي: وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج2
10. دي طوريس دييغو: تاريخ الشرفا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، دط، دت
11. كربخال مارمول: افريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، دط، 1988-1989، ج2

ب-باللغة الأجنبية:

1. *Fray Diego de Haedo : Histoire des rois d'Alger ,tr,et notée,par :H,D ,de Grammont, adoulphe jourdon libraire éditeur, Alger,1881*

2- المراجع:

أ-باللغة العربية:

1. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش: تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، در وتح، فارس كعوان، بيت الحكمة، ط1، 2009.
2. أبو خليل شوقي: معركة وادي المخازن-الملوك الثلاثة-القصر الكبير، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1988
3. الأرقش، ولندة، عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، دط 2003.
4. التازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، أكاديمية المملكة المغربية، دط، 1988، ج8.
5. ألتر عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989.
6. التميمي عبد الجليل: أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519، مستخرج من المجلة التاريخية المغربية، تونس ع6، 1976

7. الزبيري محد العربي: التجارة الخارجية للشـــرق الجزائري، الشـــركة الوطنية للنشـــر والتوزيع، د ط، الجزائر،1972.
8. العسـلي بسـام: خير الدين بربروس والجهاد في البحر(1470-1547م)، دار الفاس، ط1، 1980.
9. المشـــرفي محمد بن محمد بن مصـــطفى: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، دراســة وتح: إدريس بوهليلة، منشــورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، ط1، 2005، ج2.
10. الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضـــة الجزائرية، الجزائر، دط، 1964، ج3.
11. براون كينيث: موجز تـاريخ ســـلا(1000-1800م)، تر: محمد جيدة وأنـاس لعلو، منشورات أمل، الدار البيضاء، ط1، 2001.
12. بلحميســـي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشـــركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط،1981
13. بن أشـــنهو عبد الحميد بن أبي زيـان: دخول الأتراك العثمـانيون إلى الجزائر، دار الجيش الشعبي، الجزائر، دط، 1971.
14. توفيق المدني أحمد: حرب الثلاثمائة ســـنة بين الجزائر وإســـبانيا (1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، دت.
15. حركات ابراهيم: المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية الســـعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1 1978، ج2.
16. حركات إبراهيم: مميزات الحياة الثقافية والفكرية خلال العصـــر الســـعدي 905 - 1069هـ/1505-1653 م، مجلة المؤرخ العربي، الإمارات العربية المتحدة، ع36، 1988
17. حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009،

18. رزوق محمد: الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، إفريقيا الشرق، المغرب، ط3، 1998.
19. سالم علي أحمد سالم: السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، دط، 2011.
20. سبنسر وليم: الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط،2006.
21. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ج2.
22. سعيدوني ناصر الدين: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب)، من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، مجلي النشر العلمي، الكويت، دط، 2010.
23. شاكر محمود: التاريخ الإسلامي العهد العثماني، المكتب الإسلامي، ط4، 2000،
24. عامر محمود علي، محمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى، ليبية)، دمشق، دط، دت.
25. عباد صالح: الجزائر تحت الحكم التركي(1514-1830)، دار هومة، الجزائر، ط1، 2005.
26. كريم عبد الكريم: المغرب في عهد الدولة السعدية، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ط3، 2006.

ب-باللغة الأجنبية:

1. *Mercier Ernest: Histoire de l'Afrique septentrional (Berbérie) ,Paris,1868,T3.*
2. *De Grammont H, D: Histoire d'Alger sous la domination turque(1515-1830),Ernest leroux,éditeur,Paris,1887.*
3. *la Primaudoie F Elie de:le commerce et la navigation de l'Algérie ,revue algérienne et coloniale ,1860,*

4. *Rosenberg Bernard :population et crise au Maroc aux 16-17 siècles et famines cahier de la mediterranée,N2,1977.*

3-المجلات والدوريات:

1. دين قادة: الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ، عصور الجديدة، ع27، الجزائر، 2017-2018، مج7
2. ملين محمد نبيل: السلطان الشريف-الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، مركز جاك برك، جامعة الرباط، 2013.
3. *la veronne Chantal de: relation entre le maroc et la turquie dans la seconde moitié du 16 e siecle et le début du 17 e siecle (1554-1616)،revue de l'occident musulman et de la méditerranée،1973،n= 15-16.*
4. *De Haedo Don Diego ،topographie et Histoire Générale D'Alger،tr par Montereau et،A Berbrugger ،Revue Africaine ،Alger ،n=85 ،1871*

4-الرسائل الجامعية:

1. عمار بن خروف: العلاقات بين الجزائر والمغرب(1517-1695م)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، د.ط، 1973

5-المعاجم:

1. صابان سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، د.ط، 2000
2. نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1980.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

كلمة شكر

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة.....01

الفصل الأول

أوضاع الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 16م

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الجزائر والمغرب.....09

المطلب الأول: ظهور التحرشات الإسبانية في الجزائر ونجدة العثمانيين.....09

أ-الغزو الإسباني للمدن الجزائرية والتفكك الداخلي.....09

ب – نجدة الإخوة بربروس وتحريرهم للبلاد.....12

-مقتل عروج:.....15

ج-الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية.....16

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى.....17

أ-الأوضاع السياسية العامة للمغرب.....17

ب-الصراع الوطاسي السعدي في عهد أحمد الأعرج (1517-1539م)

.....18

-الخلاف بين الشريفين السعديين.....20

ج-الصراع الوطاسي السعدي في عهد محمد الشيخ (1539-1554م)

.....20

-الاستيلاء على فاس ونهاية الصراع الوطاسي السعدي.....20

المبحث الثاني: الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في البلدين.....21

المطلب الأول: الوضع الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر والمغرب.....23

أ-التبادل التجاري مع أوروبا.....23

ب–النشاط الفلاحي والحرفي.....23
ج–المستوى المعيشي والوضع الصحي.....25
د–الفئات الاجتماعية.....27
المطلب الثاني: الوضع الثقافي في الجزائر والمغرب.....28
أ–التعليم ومؤسساته.....29
ب-العلوم النقلية والعقلية.....29
–التفسير.....30
–الحديث.....31
–علوم اللغة والتاريخ.....31

الفصل الثاني

العلاقات السياسية مع الدولة السعدية

المبحث الأول: علاقات بيلربايات الجزائر مع الأشراف السعديين.....33
المطلب الأول: العلاقات في عهد محمد الشيخ وعبد الله الغالب(1549–1573م).33
–عهد محمد الشيخ (1549–1557م).....33
–مساعدة العثمانيين لأبي حسون في استعادة عرشه.....34
–عهد عبد الله الغالب(1557–1573م):.....36
–حملة حسن باشا على المغرب 1558م ورد الفعل السعدي.....36
المطلب الثاني: العلاقات في عهد محمد المتوكل وعبد الملك (1573–1578 م)
.....37
–عهد عبد الملك(1576–1578م).....39
–معركة وادي المخازن 1578م.....40
المبحث الثاني: علاقة أحمد المنصور وخلفاؤه مع بيلربايات وباشوات الجزائر.....42
المطلب الأول: العلاقة في عهد أحمد المنصور(1578–1603م).....42
1–المرحلة الأولى (1578–1587م).....42

2-المرحلة الثانية(1587-1603م).....45

المطلب الثاني: علاقة الباشوات مع المغرب بعد المنصور(1603-1659) 48

-العلاقات في عهد أبناء المنصور وخلفاؤه(1603-1659م) 49

الفصل الثالث

العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع السعديين

المبحث الأول: العلاقات الاقتصادية مع السعديين 54

المطلب الأول: مظاهر التبادل التجاري.....54

1-طرق المواصلات.....55

2-المواد التجارية المتبادلة.....57

المطلب الثاني: مراكز التبادل التجاري.....57

1-مدينة الجزائر 58

2-مدينة تلمسان 60

المبحث الثاني: مظاهر العلاقات الاجتماعية 61

المطلب الأول: الروابط العرقية والمصاهرات.....61

-الهجرة والاستقرار 62

المبحث الثالث: مظاهر العلاقات الثقافية.....65

المطلب الأول: التقارب الفكري بين علماء البلدين من خلال هجراهم.....65

المطلب الثاني: أهم الحواضر العلمية والثقافية.....68

1-مدينة تلمسان 68

2-مدينة الجزائر 69

3-مدينة فاس.....69

4-مدينة مراكش.....70

الخاتمة.....73

الملاحق 76

قائمة المصادر والمراجع.....81
فهرس المحتويات.....87

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

إن أهم ما يميز دول المغرب أن لها تاريخا مشتركا وصفات مشتركة، ما جعل شعوبها شعبا واحدا، على مرّ العصور.

فالعلاقات الجزائرية المغربية عميقة منذ القدم، ومما زادها رسوخا انتشار الاسلام في ربوعهما، فتعاقبت على البلدين عدة دول تركت آثارها في العلاقات السياسية وغيرها، ولعل أهمها كان في عهد خلفاء الموحدين، ممثلة في الدولة الزيانية والمرينية وما كان بينهما من تنافس وصراع.

ومع مطلع القرن السادس عشر ميلادي بدأت هذه الدول في الانهيار فنشأت في الجزائر إيالة عثمانية عاصمتها مدينة الجزائر سنة 1519م، أنهت الحكم الزياني فيما بعد أما في المغرب الأقصى فظهرت الدولة السعدية على أنقاض الدولة الوطاسية سنة 1549م ومن هنا بدأت حلقة جديدة في تاريخ العلاقات بين البلدين، تأرجحت بين السلم والحرب فشهدت تنافسا حادا سعى السعديون من خلاله التوسع في الجزائر، كما عمل العثمانيون بدورهم على التصدي لهذه الأطماع وحاولوا توحيد المغرب العربي تحت مظلة الخلافة العثمانية.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الجزائرية المغربية، الدولة السعدية، الباب العالي.